

أهمية لغة الجسد في العمل الامني واليات التدريب عليها وفق المنهجيات العالمية (دراسة مقارنة)

عبيد جمعة الكعبي

باحث دكتوراه في الاجتهاد الشرعي في القضايا المعاصرة، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، الامارات العربية
المتحدة

البريد الالكتروني: Obaid.alkaabi@mbzuh.ac.ae

المخلص

هدفت هذه الدراسة إلى استجلاء فاعلية تدريب الكوادر الأمنية على مهارات قراءة لغة الجسد، وذلك من خلال إجراء مقارنة تحليلية رصينة بين ثلاثة نماذج دولية رائدة هي: النموذج الأمريكي (وحدة التحليل السلوكي)، والنموذج البريطاني (بروتوكول المقابلة الاستقصائية)، والنموذج الفرنسي (المقاربة التوليفية). اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المقارن لتفكيك الفلسفات الأمنية، والمنهجيات البيداغوجية، والوسائط التكنولوجية المستخدمة في كل مدرسة، وصولاً إلى بناء تصور مقترح يتلاءم مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية للبيئة العربية و توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المحورية، أبرزها وجود تباين جوهري في الأهداف التدريبية؛ حيث يميل النموذج الأمريكي نحو الحسم العملياتي وكشف الخداع الفوري، بينما يركز النموذج البريطاني على جمع المعلومات وضمان نزاهة التحقيق وتجنب الاعترافات القسرية. كما أظهرت النتائج أن التوجه الحديث في التدريب الأمني العالمي قد انتقل من الاعتماد على العلامات الجسدية التقليدية إلى تحليل "الحمل المعرفي" والجهد الذهني، مع دمج واسع النطاق لتقنيات الواقع الافتراضي والذكاء الاصطناعي لتوليد سيناريوهات محاكاة غامرة ترفع من دقة الملاحظة الميدانية واختتمت الدراسة بتقديم "تصور مقترح" يركز على مقارنة توليفية هجينة تزوج بين دقة التنميط السلوكي وموضوعية المقابلات الاستقصائية. وتوصي الدراسة بضرورة تهيئة المناهج الدولية لتتوافق مع معايير السلوك الاجتماعي العربي، وإنشاء "بنك معطيات سلوكي" وطني لتوثيق الأنماط الإجرامية المستجدة، فضلاً عن الاستثمار في منصات التدريب الرقمية لضمان استدامة الأثر التدريبي ورفع كفاءة الحس الأمني الوقائي والجنائي في مواجهة تعقيدات الجريمة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التدريب الأمني، لغة الجسد، الدراسة المقارنة، التحقيق الجنائي، الذكاء الاصطناعي، التصور المقترح، الحمل المعرفي، التنميط السلوكي.

The Importance of Body Language in Security Work and Training Mechanisms According to International Methodologies (A comparative study)

Obaid Juma Al Kaabi

PhD Researcher in Ijtihad in Contemporary Issues, Mohamed bin Zayed University for Humanities, UAE

Email: Obaid.alkaabi@mbzuh.ac.ae

ABSTRACT

This study aims to investigate the effectiveness of training security personnel on body language reading skills by conducting a rigorous analytical comparison between three leading international models: the American model (Behavioral Analysis Unit), the British model (PEACE investigative interview protocol), and the French model (The Synthetic Approach). The study employs a descriptive-analytical and comparative methodology to deconstruct the security philosophies, pedagogical methodologies, and technological media used in each school, ultimately constructing a proposed vision compatible with the cultural and social specificities of the Arab environment. The findings reveal a fundamental discrepancy in training objectives. At the same time, the American model prioritizes operational decisiveness and immediate detection of deception; the British model focuses on objective information gathering and on ensuring the integrity of the investigation by mitigating the risk of coerced confessions. Furthermore, the results indicate that the modern trend in global security training has shifted from relying on traditional physical cues to analyzing "cognitive load" and mental effort. This shift is supported by the extensive integration of Virtual Reality (VR) and Artificial Intelligence (AI) to generate immersive simulation scenarios that enhance the accuracy of field observations. The study concludes by presenting a "proposed vision" based on a hybrid synthetic approach that merges the precision of behavioral profiling with the objectivity of investigative interviews. The study recommends contextualizing international curricula to align with Arab social behavior standards, establishing a national "behavioral data bank" to document emerging criminal patterns, and investing in digital training platforms to ensure the sustainability of training impact and to enhance a preventive security mindset in the face of contemporary crime complexities.

Keywords: Security Training, Body Language, Comparative Study, Criminal Investigation, Artificial Intelligence, Proposed Vision, Cognitive Load, Behavioral Profiling.

المقدمة

يشهد العمل الأمني المعاصر تطوراً متسارعاً وتعقيداً متزايداً في أساليب ارتكاب الجريمة، مما يحتم على الأجهزة الأمنية والمؤسسات الشرطية تطوير أدواتها الاستقصائية والتحليلية بما يتجاوز نطاق الأدلة المادية التقليدية. وفي هذا السياق، تبرز "لغة الجسد" والتواصل غير اللفظي كركيزة أساسية وحيوية في منظومة التحقيق الجنائي وتنمية الحس الأمني. فالتواصل الإنساني لا يقتصر على الكلمات المنطوقة، بل تدعمه إيماءات وتعبيرات حركية تمثل انعكاساً فيزيولوجياً ونفسياً صادقاً للذهن البشري، وتكشف غالباً ما يحاول المشتبه به إخفاءه من معلومات أو انفعالات.

إن قدرة المحقق ورجل الأمن على فك شفرات هذه العلامات الجسدية تسهم بشكل فعال في توجيه مسار التحقيق، تقييم مصداقية الأقوال، وتضييق دائرة الاشتباه بأسس علمية ونظراً لتباين استراتيجيات إعداد الكوادر الأمنية حول العالم، يسعى هذا البحث إلى دراسة مفاهيم لغة الجسد أمنياً، ومقارنة آليات التدريب عليها وفقاً لثلاثة نماذج دولية رائدة، سعياً للوصول إلى أفضل الممارسات المنهجية التي ترفع من كفاءة الأداء الأمني والعدالة الجنائية.

مشكلة البحث

تتبلور مشكلة البحث في وجود فجوة تدريبية ومنهجية في العديد من المؤسسات الأمنية فيما يخص التأهيل العلمي المتخصص لرجال الأمن على قراءة وتحليل دلالات لغة الجسد أثناء الاستجوابات والمواجهات الميدانية. وعلى الرغم من الأهمية البالغة للتواصل غير اللفظي في كشف الخداع، فإن الاعتماد في كثير من الأحيان لا يزال منصبا على الحدس الشخصي والخبرة التراكمية الفردية بدلا من المنهجيات العلمية المقننة والمستدامة بناء على ذلك، يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

"ما هي الأهمية الاستراتيجية للغة الجسد في تعزيز كفاءة العمل الأمني، وكيف يمكن المفاضلة بين آليات التدريب المتبعة في ثلاثة نماذج دولية (منهجياً وعملياً) لتطوير منظومة تدريبية أمنية متكاملة؟"

ويتفرع من هذا التساؤل:

س - ما هو الإطار المفاهيمي، والسيكولوجي، والتحليلي للغة الجسد ضمن السياق الأمني الجنائي؟
س - ما أوجه التشابه والاختلاف ونقاط القوة والضعف في المنهجيات العالمية الثلاث المختارة لتدريب الكوادر الأمنية؟

أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال مسارين رئيسيين:
الأهمية العلمية (النظرية): يسهم هذا البحث في إثراء الأدبيات الأمنية والقانونية العربية والمكتبة الأكاديمية بدراسة بيئية تجمع بين علم النفس الجنائي، والعلوم الشرطية، والتحليل السلوكي. كما يقدم تأصيلاً وصفياً وتحليلياً لمتغيرات التواصل غير اللفظي وعلاقتها المباشرة برفع مستوى الحس الأمني والقرارات الاستدلالية للكوادر الشرطية.

الأهمية العملية (التطبيقية): تكمن في تقديم إطار مقارن دقيق يسلط الضوء على ثلاثة نماذج تدريبية دولية متقدمة، مما يوفر لصناع القرار في الأكاديميات الأمنية رؤية استراتيجية واضحة لتحديث المناهج التدريبية، وبما يضمن تخريج محققين ورجال أمن قادرين على توظيف التقنيات النفسية الفيزيولوجية بفعالية وموضوعية في مكافحة الجريمة.

أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع استناداً إلى مبررات علمية وعملية متضافرة، أبرزها:
تطور أساليب التضليل: التطور المستمر في أساليب التضليل والخداع التي يمارسها مرتكبو الجرائم المعقدة، مما يستدعي تسليح رجل الأمن بأدوات سلوكية مضادة تعتمد على الملاحظة العلمية الدقيقة للعلامات غير اللفظية
تحديث المنظومة التدريبية: الحاجة الملحة لترقية المناهج التدريبية الأمنية للتحويل من الأساليب التقليدية في الاستجواب إلى أساليب علمية حديثة تعتمد على "الذكاء العاطفي" والتحليل السلوكي.
النزاهة والعدالة الجنائية: إدراك الباحث بأن التفسير الصحيح والدقيق للغة الجسد لا يساهم فقط في إدانة المذنب، بل يلعب دوراً محورياً في تبرئة المشتبه بهم وحماية حقوق الإنسان وتقليل الاعتماد على وسائل الضغط التقليدية.

أهداف البحث

- استنادا إلى المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:
- الهدف الأول : توصيف وتحليل المفاهيم المرتبطة بلغة الجسد، وبيان دلالاتها النفسية وانعكاساتها المباشرة على مجريات العمل الأمني والتحقيق الجنائي.
 - الهدف الثاني: استعراض وتقييم استراتيجيات وآليات التدريب الأمني الخاصة بمهارات قراءة لغة الجسد في ثلاثة نماذج دولية رائدة.
 - الهدف الثالث: المفاضلة النقدية بين المنهجيات العالمية الثلاث (المنهج المقارن) لتحديد عوامل النجاح، ونقاط القوة، وجوانب القصور في كل نموذج تدريبي.
 - الهدف الرابع: بناء إطار مقترح يتضمن توصيات عملية لدمج وتكييف أفضل الممارسات العالمية لتدريس لغة الجسد ضمن البرامج التدريبية للأكاديميات الأمنية.

الدراسات السابقة :

تعددت المقاربات العلمية التي حاولت سبر أغوار لغة الجسد وأبعادها في المنظومة الأمنية، حيث يمكن رصد تيارين بحثيين شكلا حجر الزاوية في الأدبيات المعاصرة؛ اتجه التيار الأول نحو "التأصيل السيميائي والنفسي" للسلوك غير اللفظي كأداة إثبات جنائي. وفي هذا الصدد، تبرز دراسة (حمادية، 2024) التي قدمت تشريحا "سيميوجنائيا" عميقا للعلامة الجسدية، معتبرة أن الجسد يمتلك لغة موازية تتسم بالعمق والصدق والمقاومة لمحاولات التزييف الوعي؛ إذ أكدت الدراسة أن تعبيرات الوجه الدقيقة وحركات الأطراف تمثل "بصمة سلوكية" لا تقل أهمية عن البصمة المادية في فك طلاسم القضايا المعقدة¹ ومن منظور مكمل، ذهبت دراسة (النحوي، 2024) إلى ترسيخ مفهوم "الأدلة المعنوية"، حيث حللت كيف يسهم إدراك المحقق للغة الجسد في تقييم "المصادقية اللحظية" للإفادات، مما يحول مهارة القراءة السلوكية من مجرد حدس شخصي إلى منهجية علمية منضبطة تخدم العدالة الجنائية وتدعم القناعة الوجدانية للقاضي² كما استقصت دراسة (بن عيسى، 2022) الأبعاد "النفسو-فيزيولوجية" للتنميط الجنائي، موضحة أن الاستجابات اللاإرادية (مثل اتساع حدقة العين، أو اضطراب التنفس، أو نبرة الصوت) هي مؤشرات حيوية تمنح رجال الأمن قدرة استباقية على كشف التناقضات السلوكية لدى المحترفين في الإجراء³

أما التيار الثاني، فقد ركز على "هندسة التدريب والمنهجيات الميدانية"، متجاوزا مرحلة التوصيف إلى مرحلة "الكيفية" التطبيقية. وفي هذا الإطار، استعرضت دراسة (خليل، 2025) التطور الدراماتيكي في فن الاستجواب الجنائي، مسلطة الضوء على "النموذج السلوكي الأمريكي" الذي يبناه مكتب التحقيقات الفيدرالي، والذي يقوم على تدريب مكثف يربط بين علم النفس التحليلي والمواجهة الميدانية، مما يتيح للمحقق استدراج الحقيقة عبر تحليل "التسريبات الجسدية" للمستجوب⁴ وفي مقابل ذلك، أبرزت الوثائق التدريبية الدولية والتقارير الأكاديمية (2023) تفوق "النموذج البريطاني" المعروف بـ(PEACE)، وهو منهج إرشادي يرفض الضغط النفسي الصدام لصالح "المقابلة المعرفية"؛ حيث يعتمد هذا النموذج على تهيئة بيئة تسمح بالتدفق الحر للمعلومات، مما

1 حمادية، أسماء (2024). دور العلامة في التحقيق الجنائي: مقارنة سيميوجنائية. مجلة الباحث في العلوم القانونية والسياسية، المجلد 11، العدد 1، ص 236-250.

2 النحوي، أحلام (2024). لغة الجسد: توظيف لغة الجسد في المجال الجنائي والقضائي. بحث أكاديمي، كلية الحقوق، جامعة بنغازي، ص 12-18..

3 بن عيسى، زهرة (2022). دلالة استخدام التقنيات النفسو-فيزيولوجية المتبعة في التنميط الجنائي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 2.

4 خليل، طارق (2025). فن الاستجواب الجنائي من التحقيق إلى الاعتراف: دراسة تحليلية في التطور المنهجي. منشورات الأكاديمية الأمنية، ص 75-90.

يمنح رجل الأمن مساحة زمنية فائقة لمراقبة لغة جسد المشتبه به في حالة "الاسترخاء النسبي"، وهي الحالة التي تظهر فيها الفروقات الجوهرية بين الصدق والخداع بوضوح أكبر⁵

التعقيب النقدي والفجوة البحثية:

بالقراءة التحليلية لهذا التراث البحثي، يتضح وجود إدراك أكاديمي متنامٍ لأهمية لغة الجسد، إلا أن الاستفاضة في هذا السرد كشفت عن فجوة بحثية مر مركبة؛ فمن جهة، لا تزال أغلب الدراسات العربية حبيسة "التنظير السلوكي العام" دون إسقاطه على نماذج تدريبية أمنية "مقارنة" توضح نقاط التميز بين المدارس العالمية. ومن جهة أخرى، يفتقر المكتب الأمني إلى دراسة "إجرائية" تفاضل بين آليات التدريب (النظرية، والمحاكاة، والواقع الافتراضي) المستخدمة في النماذج الدولية الثلاثة. ومن هنا، تنبع أصالة البحث الحالي في كونه يسعى لردم هذه الفجوة عبر "تبيئة" المنهجيات العالمية المقارنة، وصياغة إطار مقترح لآليات التدريب يجمع بين دقة التحليل السلوكي الأمريكي وموضوعية المقابلة الاستقصائية البريطانية، بما يتلاءم مع الخصوصية الثقافية والأمنية للبيئة العربية.

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة في بنيتها المنهجية على مدخل "التكامل المنهجي" وذلك لضمان الإحاطة بالأبعاد النظرية والتطبيقية لموضوع لغة الجسد في السياق الأمني. وينطلق البحث أولاً من المنهج الوصفي التحليلي، كونه الأداة الأكثر ملاءمة لتوصيف الظاهرة السلوكية غير اللفظية، وتفكيك أطرها المفاهيمية والنفسية، ورصد دلالاتها الفيزيولوجية ضمن بيئة العمل الجنائي؛ إذ لا يقتصر هذا المنهج على رصد حركات الجسد وإيماءات الوجه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى "تحليل الاستجابات السلوكية" وربطها بفرضيات كشف الخداع وتعزيز الحس الأمني لدى الفرد الشرطي، وهو ما يساهم في بناء قاعدة معرفية رصينة تدعم عملية اتخاذ القرار في المواقف الأمنية الحرجة

وفي الشق التطبيقي من الدراسة، يتم توظيف المنهج المقارن لإجراء عملية "مقارنة معيارية" بين استراتيجيات وآليات التدريب المتبعة في ثلاثة نماذج دولية رائدة في المجال الأمني. ويهدف استخدام هذا المنهج إلى استجلاء أوجه التباين والاتفاق في الفلسفات التدريبية العالمية، والمفاضلة بين المناهج التي تعتمد على "التحليل السلوكي الصدامي" وتلك التي تركز على "المقابلة الاستقصائية المعرفية"؛ وذلك بغرض تحديد نقاط القوة والضعف في كل نموذج، واستخلاص أفضل الممارسات المهنية التي يمكن "تبيئتها" وتطويرها بما يخدم كفاءة التدريب الأمني ويرفع من جودة الأداء الميداني

ويتأزر هذان المنهجان في مسار البحث لتقديم رؤية شمولية؛ حيث يمهّد المنهج الوصفي التحليلي الطريق لفهم "ماهية" لغة الجسد وأهميتها، بينما يتولى المنهج المقارن تحديد "كيفية" نقل هذه المهارات إلى الكوادر الأمنية بفعالية. وتعتمد الدراسة في استقاء بياناتها على تحليل المحتوى النوعي للأدبيات الأكاديمية الرصينة، والتقارير الفنية الصادرة عن الأكاديميات الأمنية والمنظمات الدولية المعنية بإنفاذ القانون، بما يضمن دقة الاستنتاجات العلمية وموثوقية الإطار التدريبي المقترح في خاتمة البحث

خطة البحث :

التمهيد :

- المحور الأول (التأصيل المفاهيمي والسيكولوجي): يركز على توصيف ماهية لغة الجسد وأبعادها النفسية والفيزيولوجية، مع بيان دور "التعبيرات الدقيقة" في تشكيل الحس الأمني وتفسير السلوك البشري بعيداً عن الكلمات المنطوقة، مما يؤسس لقاعدة معرفية مبنية لرجل الأمن.

⁵المفوضية السامية للأمم المتحدة (2023). دليل التدريب المتقدم على المقابلات الاستقصائية: إطار نموذج PEACE العالمي. جنيف، ص 22-40.

- المحور الثاني (الأهمية الوظيفية والتحليلية): يتناول الدور التطبيقي للغة الجسد في كشف الخداع وتقييم مصداقية الأقوال في غرف الاستجواب، بالإضافة إلى تحليل فعاليتها في رصد المخاطر السلوكية والتنبؤ بها أثناء العمليات الأمنية والمواجهات الميدانية.
- المحور الثالث (الدراسة المقارنة والآليات التدريبية): يختص بالمفاضلة المنهجية بين آليات التدريب في ثلاثة نماذج دولية رائدة (الأمريكي، البريطاني، والفرنسي)، للوقوف على أفضل الاستراتيجيات المتبعة عالمياً، وصولاً إلى استخلاص إطار تدريبي مقترح يتناسب مع المتطلبات الأمنية الحديثة.
- المباحث:
- المبحث الأول: الإطار النظري للغة الجسد في السياق الأمني.
- المبحث الثاني: آليات التدريب على لغة الجسد في النماذج الدولية (دراسة مقارنة).
- المبحث الثالث: التصور المقترح لتطوير التدريب الأمني على لغة الجسد.

المبحث الأول الإطار النظري للغة الجسد في السياق الأمني

تمثل لغة الجسد في الميدان الأمني لغة صامتة لكنها بالغة الأثر، حيث تعكس الاستجابات الفيزيولوجية والنفسية التي يصعب على الفرد التحكم فيها إرادياً بشكل كامل، مما يجعلها أداة استدلالية حيوية في العمل الشرطي المعاصر.

المطلب الأول: ماهية لغة الجسد وأبعادها السيكو-فيزيولوجية

الفرع الأول: التوصيف المفاهيمي للتواصل غير اللفظي (Kinesics)

يقصد بلغة الجسد في الأدبيات العلمية منظومة الإشارات غير اللفظية التي يعبر بها الفرد عن حالاته الانفعالية والمعرفية عبر حركات الجسد وتعبيرات الوجه ونظرات العين ووضعيات الوقوف والجلوس. ويعد مفهوم Kinesics من المفاهيم التأسيسية في هذا الحقل، حيث صاغه راي بيردوستل ليشير إلى دراسة الحركات الجسدية بوصفها نسفاً دلاليًا قائماً بذاته، يخضع لقواعد ثقافية واجتماعية محددة⁶ ولا تفهم هذه الإشارات بمعزل عن السياق، بل تتكامل مع عناصر أخرى مثل النبرة الصوتية والمسافة الاجتماعية، مما يجعل التواصل غير اللفظي نظاماً مركباً يتطلب تحليلاً متعدد الأبعاد.

كما يقصد بلغة الجسد أو علم الحركات الجسدية (Kinesics) ذلك الفرع من التواصل الذي يدرس الحركات الإرادية واللاإرادية للأطراف، وتعبيرات الوجه، ووضعيات الجسد كأدوات لنقل المعاني والمشاعر⁷، وفي السياق الأمني لا ينظر إلى هذه الحركات كأفعال مجردة، بل كرسائل مشفرة تعكس الحالة الذهنية للمشتبه به أو الضحية. ويشير العلماء إلى أن التواصل البشري يعتمد بنسبة تتجاوز 65% على القنوات غير اللفظية، مما يمنح "سيميائية الجسد"⁸ أولوية في تحليل الموقف الأمني مقارنة بالمحتوى اللفظي الذي يمكن تطويره وتزييفه بسهولة أكبر⁹ وفي السياق العربي، يؤكد عدد من الباحثين أن لغة الجسد تمثل "الطبقة العميقة" في الاتصال الإنساني، إذ تكشف عن مضامين قد تتعارض مع الخطاب اللفظي الظاهر، وهو ما يمنحها أهمية خاصة في المجالات التي تتطلب دقة

⁶ Birdwhistell, R. L. (1970). *Kinesics and Context: Essays on Body Motion Communication*. University of Pennsylvania Press.

⁷ Pease, A., & Pease, B. (2017). *The Definitive Book of Body Language*. Bantam, p. 14.

⁸ سيميائية الجسد تعني: قراءة الجسد بوصفه نظاماً من العلامات والدلالات؛ أي النظر إلى الجسد، وحركته، وهيناته، ونظراته، وملامحه، ولباسه، وحتى طريقة تموضعه في المكان، على أنها لا تُرى بوصفها ظواهر مادية فحسب، وإنما بوصفها رسائل ومعاني قابلة للتأويل داخل سياق اجتماعي وثقافي معين.

⁹ Birdwhistell, R. L. (2010). *Kinesics and Context: Essays on Body Motion Communication*.

في تفسير السلوك، كالمجال الأمني¹⁰، كما أن التحليل العلمي للإيماءات يستند إلى ربطها بالبنى العصبية والفيزيولوجية، حيث تتولد الاستجابات الحركية نتيجة تفاعل الجهاز العصبي المركزي مع المؤثرات الخارجية والداخلية، وعليه فإن التوصيف المفاهيمي للتواصل غير اللفظي لا يقتصر على كونه وسيلة تعبير، بل يمتد ليشمل كونه أداة تحليلية يمكن توظيفها في فهم السلوك الإنساني، خاصة في البيئات التي تتسم بالتعقيد وعدم اليقين.

وفي تقدير الباحث؛ فإن لغة الجسد لا ينبغي أن تُفهم بوصفها مجرد مجموعة من الحركات العرضية أو الإشارات التكميلية للخطاب اللفظي، بل بوصفها نسقاً دلاليًا عميقاً يكشف عن البنية الداخلية للسلوك الإنساني، ويتيح قراءة ما يتوارى خلف القول المعلن. ومن ثم؛ فإن قيمتها في السياق الأمني تتضاعف، لأنها تسهم في تفكيك المواقف المركبة، ورصد التناقض بين الظاهر والمضمر، واستجلاء المؤشرات الدقيقة المرتبطة بالانفعال والتردد والمراوغة. غير أن الباحث يرى، في الوقت نفسه، أن الإفراط في تفسير الإيماءات خارج سياقها الثقافي والموقفي قد يفضي إلى استنتاجات مضللة؛ لذلك فإن توظيفها العلمي الرشيد يقتضي أن تكون جزءاً من مقاربة تحليلية شاملة، تدمج بين المعطيات السلوكية، والقرائن السياقية، والمعرفة النفسية والعصبية، بما يجعلها أداة مساندة عالية القيمة في فهم السلوك، لا دليلاً منفرداً يُبنى عليه الحكم القطعي.

الفرع الثاني: التعبيرات الدقيقة (Micro-expressions) والأساس النفسي للاستجابات اللاإرادية.

تعد التعبيرات الدقيقة هي النافذة الأكثر صدقا على العواطف المكبوتة؛ وهي تعبيرات وجهية خاطفة تظهر لمدة لا تتجاوز جزءاً من الثانية (25/1 من الثانية) حين يحاول الفرد قمع شعور ما¹¹، ويعود الأساس النفسي لهذه التعبيرات إلى "نظرية التسريب السلوكي"¹²، حيث يفشل الجهاز العصبي اللاإرادي في إخفاء الانفعالات الحقيقية (مثل الخوف، الغضب، أو الازدراء) رغم المحاولة الواعية لإخفائها. بالنسبة لرجل الأمن، فإن رصد هذه "الومضات" يمثل مؤشراً حيوياً على وجود تناقض بين ما يقال وما يشعر به، وهو ما يسمى في علم النفس الجنائي "بالحمل المعرفي" الذي يسبق الانهيار السلوكي للمخادع¹³

تعد التعبيرات الدقيقة من أكثر مظاهر لغة الجسد دقة وأهمية، إذ تمثل انفعالات عابرة تظهر على الوجه خلال أجزاء من الثانية، وغالباً ما تكون خارجة عن السيطرة الواعية للفرد¹⁴، وقد أسهمت أعمال بول إيكمان في تأصيل هذا المفهوم، حيث أثبت أن هذه التعبيرات ترتبط بأنماط انفعالية فطرية عالمية، مثل الخوف والغضب والدهشة، وأنها يمكن أن تكشف عن مشاعر حقيقية حتى في حالات الإخفاء المتعمد¹⁵، ويستند تفسير هذه الظاهرة إلى أساس سيكو فيزيولوجي، يتمثل في أن الجهاز الحوفي في الدماغ مسؤول عن توليد الاستجابات الانفعالية السريعة، والتي تسبق في كثير من الأحيان عمليات المعالجة المعرفية الواعية. ونتيجة لذلك، تظهر بعض الإشارات الجسدية بشكل تلقائي قبل أن يتمكن الفرد من ضبطها أو تعديلها¹⁶ وهذا ما يجعل التعبيرات الدقيقة أداة ذات قيمة عالية في تحليل السلوك، خاصة في المواقف التي تتطلب كشف التناقض بين القول والفعل.

¹⁰ عبد الفتاح، محمد (2018). لغة الجسد في الاتصال الإنساني. القاهرة: دار المسيرة.

¹¹ Ekman, P. (2009). *Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics, and Marriage*. W. W. Norton & Company, p. 128.

¹² نظرية التسريب السلوكي هي تصور يفسر ظهور مؤشرات غير لفظية غير مقصودة تكشف عن الحالات الانفعالية أو النوايا الحقيقية للفرد، رغم محاولته إخفاءها أو تقديم صورة مغايرة عنها، American Psychological Association, "Leakage," *APA Dictionary of Psychology*, accessed April 8, 2026, <https://dictionary.apa.org/leakage>.

¹³ النحوي، أحلام (2024). لغة الجسد: توظيف لغة الجسد في المجال الجنائي والقضائي. بحث أكاديمي منشور، جامعة بنغازي، ص 22.

¹⁴ Ekman, P. (2003). *Emotions Revealed*. New York: Times Books.

¹⁵ Ekman, P., & Friesen, W. V. (1969). "Nonverbal leakage and clues to deception". *Psychiatry*, 32(1), 88–106.

¹⁶ LeDoux, J. (1998). *The Emotional Brain*. New York: Simon & Schuster.

وقد أظهرت دراسات تطبيقية أن تدريب الأفراد على التعرف على هذه التعبيرات يمكن أن يحسن من قدرتهم على اكتشاف الخداع، إلا أن هذه القدرة تظل نسبية وتتأثر بعوامل مثل الخبرة والسياق الثقافي¹⁷ ومن هنا، فإن التعامل مع هذه المؤشرات يتطلب حذراً منهجياً لتجنب التفسيرات المتسرعة أو المبالغ فيها. وفي تقدير الباحث؛ فإن التعبيرات الدقيقة تمثل أداة تفسيرية بالغة الأهمية في تحليل السلوك الإنساني، لأنها تكشف عن تلك اللحظة التي يعجز فيها الضبط الواعي عن إحكام السيطرة الكاملة على الانفعال الحقيقي، فتظهر المشاعر المكبوتة في صورة ومضات وجهية خاطفة ذات دلالة عالية. غير أن القيمة العلمية لهذه التعبيرات لا تكمن في التعامل معها بوصفها أدلة قطعية على الخداع أو الإدانة، بل في اعتبارها مؤشرات أولية تستوجب الربط بينها وبين السياق العام للموقف، وطبيعة الشخص، والقرائن السلوكية واللفظية المصاحبة. ومن ثم؛ يرى الباحث أن الإفادة من هذا المفهوم في المجال الأمني تظل مشروطة بمنهج تحليلي منضبط، يجمع بين المعرفة النفسية، والخبرة الميدانية، والحذر من النزعة التبسيطية التي تختزل الحقيقة الإنسانية المعقدة في إشارة عابرة أو انفعال لحظي.

المطلب الثاني: الدور الوظيفي للغة الجسد في العمل الأمني

الفرع الأول: توظيف لغة الجسد في تعزيز الحس الأمني ورصد المخاطر الميدانية

يعد الحس الأمني قدرة ذهنية ومهارية تمكن رجل الأمن من التنبؤ بالخطر قبل وقوعه، وتلعب لغة الجسد دوراً محورياً في هذا الجانب عبر ما يمكن أن يسمى بـ"التوسيم السلوكي"¹⁸ للمحيط. ففي التجمعات والمطارات، يتم رصد "المؤشرات السلوكية المريبة" مثل: التلفت غير المبرر، جفاف الشفتين، أو حركات اليدين العشوائية التي تشير إلى اضطراب فيزيولوجي ناتج عن نية جرمية¹⁹، إن التدريب على قراءة هذه العلامات يرفع من كفاءة "الفرز الأمني" ويقلل من نسب الخطأ في توجيه الاشتباه، مما يعزز الاستباقية الأمنية في مكافحة الإرهاب والجرائم المنظمة²⁰.

تسهم لغة الجسد في العمل الأمني في تعزيز ما يعرف بـ"الحس الأمني" أو الإدراك المبكر للمخاطر، وهو القدرة على ملاحظة المؤشرات السلوكية غير الاعتيادية التي قد تدل على نية إجرامية أو تهديد محتمل. إذ يعتمد رجل الأمن في كثير من الحالات على قراءة سلوك الأفراد في الأماكن العامة، مثل التوتر المفرط، أو تجنب التواصل البصري، أو الحركات غير الطبيعية، باعتبارها إشارات أولية تستدعي الانتباه²¹ وتشير الأدبيات الأمنية إلى أن هذه المهارات لا تكتسب بصورة عفوية، بل تتطلب تدريباً منهجياً قائماً على تحليل الأنماط السلوكية وربطها بالسياقات الميدانية. وقد طورت بعض الأجهزة الأمنية برامج تدريبية متقدمة تعتمد على محاكاة السيناريوهات الواقعية، بهدف تنمية القدرة على التمييز بين السلوك الطبيعي والسلوك المشبوه²² وفي هذا الإطار، تصبح لغة الجسد أداة استباقية تمكن من التدخل المبكر قبل وقوع الفعل الإجرامي، مما يعزز من فعالية العمل الأمني ويقلل من المخاطر المحتملة.

¹⁷ Matsumoto, D., Hwang, H. S. (2011). "Evidence for training the ability to read microexpressions". *Motivation and Emotion*, 35(2), 181–191.

¹⁸ التوسيم السلوكي (*Behavioral Tagging*) هو، باختصار، آلية في علم الأعصاب السلوكي تفسر كيف يمكن لخبرة ضعيفة أو تعلم بسيط أن يتحول إلى ذاكرة طويلة الأمد إذا اقترن زمنياً بخبرة جديدة أو مثيرة؛ إذ تضع الخبرة الأولى ما يشبه "وسماً" أو "علامة تعلم"، ثم تأتي الخبرة اللاحقة فتوفر الموارد العصبية اللازمة لتثبيت تلك الذاكرة، F. Ballarini et al., "Behavioral Tagging Is a General Mechanism of Long-Term Memory Formation," *Proceedings of the National Academy of Sciences* 106, no. 34 (2009): 14599–14604.

¹⁹ Navarro, J., & Karlins, M. (2008). *What Every Body is Saying: An Ex-FBI Agent's Guide to Speed-Reading People*. HarperCollins, p. 55.

²⁰ قايد، محمد (2023). الذكاء الانفعالي وعلاقته بالحس الأمني لدى رجال الشرطة. *المجلة العربية لدراسات الانسانية والاجتماعية*، المجلد 39، العدد 2، ص 118.

²¹ Navarro, J. (2008). *What Every Body is Saying*. New York: HarperCollins.

²² Bull, R. (2014). *Investigative Interviewing*. New York: Springer.

الفرع الثاني: لغة الجسد كأداة لكشف الخداع وتقييم مصداقية الأقوال في الاستجواب الجنائي
في غرف الاستجواب، تتحول لغة الجسد إلى "جهاز كشف كذب" بشري؛ حيث يسعى المحقق لمراقبة "التوافق السلوكي" بين الكلام والحركة. وتبرز أهمية لغة الجسد هنا في كشف محاولات "الخداع السلوكي"؛ فالمجرم قد يسيطر على كلماته، لكنه نادرا ما يسيطر على اتساع حدقة عينه، أو وتيرة تنفسه، أو تشنج عضلات رقبته²³، وتشير الدراسات الأمنية الحديثة إلى أن المحقق البارح هو من يركز على "نقاط التحول" السلوكية التي تظهر عند طرح أسئلة حرجة، حيث يظهر جليا الصراع بين الرغبة في التضليل والاستجابة الجسدية القهرية للتوتر الناتج عن الكذب²⁴، و تستخدم لغة الجسد على نطاق واسع في سياق الاستجواب الجنائي، حيث تعد أداة مساندة لتقييم مصداقية الأقوال وكشف التناقضات بين السلوك اللفظي وغير اللفظي. ويعتمد المحققون على ملاحظة مجموعة من المؤشرات، مثل التغيرات في تعابير الوجه، وحركات اليدين، ونمط التنفس، بوصفها دلائل محتملة على وجود خداع²⁵.

غير أن الدراسات الحديثة تؤكد أن هذه المؤشرات لا يمكن الاعتماد عليها بشكل منفرد، بل يجب تحليلها ضمن إطار شامل يأخذ في الاعتبار السياق العام والشخصية الفردية للمستجوب. فقد أظهرت أبحاث علمية أن القدرة على كشف الكذب من خلال لغة الجسد وحدها تظل محدودة، وأن دقتها لا تتجاوز في كثير من الأحيان مستوى الصدفة إذا لم تدعم بأساليب تحقيق علمية أخرى²⁶، ومن هنا فإن الاستخدام الفعال للغة الجسد في الاستجواب يتطلب تكاملها مع تقنيات مثل المقابلة المعرفية وتحليل المحتوى اللفظي، بما يضمن تحقيق أعلى درجات الدقة والموضوعية.

المطلب الثالث: الضوابط المنهجية والأخلاقية لتحليل السلوك الجسدي

يتطلب تحليل لغة الجسد في العمل الأمني انضباطا منهجيا صارما لتفادي "فخ التفسير الذاتي". وتتمثل أهم هذه الضوابط في "قاعدة المجموعات"، والتي تقضي بعدم تفسير إيماءة واحدة بمعزل عن سياقها؛ ففرك الأنف قد يكون دليلا على الكذب، وقد يكون مجرد حساسية عارضة²⁷، كما يجب على المحقق مراعاة "خط الأساس" للمستجوب، وهو النمط السلوكي الطبيعي له في حالات الهدوء، ليتمكن من رصد الانحرافات السلوكية اللاحقة. أخلاقيا، يجب الحذر من التحيزات الثقافية؛ فبعض الإيماءات تختلف دلالاتها بين الشعوب، والاعتماد على قوالب نمطية قد يؤدي إلى انتهاك حقوق الأبرياء أو بناء استنتاجات أمنية مضللة²⁸، ويخضع تحليل لغة الجسد في السياق الأمني لجملة من الضوابط المنهجية والأخلاقية التي تهدف إلى ضمان موضوعية التفسير وتجنب الوقوع في التحيزات الشخصية. فمن الناحية المنهجية، يتطلب الأمر الاعتماد على مؤشرات متعددة بدلا من الاستناد إلى إشارة واحدة، مع ضرورة تفسير السلوك في ضوء السياق العام وعدم فصله عن العوامل الثقافية والاجتماعية²⁹. كما ينبغي التمييز بين "الإشارة" و"الدليل"، إذ لا يمكن اعتبار أي سلوك غير لفظي دليلا قاطعا على نية معينة، بل هو مجرد مؤشر يحتاج إلى تعزيز بأدلة أخرى. ويعد هذا التمييز أساسيا لتفادي الأخطاء في التقدير الذي قد تؤدي إلى نتائج خطيرة في العمل الأمني أما من الناحية الأخلاقية، فإن استخدام تقنيات تحليل السلوك يجب أن يتم في إطار احترام حقوق الإنسان وكرامته، مع تجنب الممارسات التي تنتهك الخصوصية أو تعتمد على التنميط

²³ Vrij, A. (2008). *Detecting Lies and Deceit: Pitfalls and Opportunities*. John Wiley & Sons, p. 42.

²⁴ الصباغ، حسن (2024). التقنيات الحديثة في الاستجواب الجنائي وكشف الخداع. دار الفكر القانوني، ص 58.

²⁵ Vrij, A. (2008). *Detecting Lies and Deceit*. Wiley

²⁶ Bond, C. F., & DePaulo, B. M. (2006). "Accuracy of deception judgments". *Personality and Social Psychology Review*, 10(3), 214–234.

²⁷ Meyer, P. (2010). *Liespotting: Proven Techniques to Detect Deception*. St. Martin's Press, p. 89.

²⁸ حمايدية، أسماء (2024). دور العلامة في التحقيق الجنائي: مقارنة سيميوجناثية. مجلة الباحث في العلوم القانونية والسياسية، ص 244.

²⁹ Knapp, M. L., Hall, J. A. (2010). *Nonverbal Communication in Human Interaction*. Wadsworth.

المسبق. كما أن الإفراط في تفسير الإيماءات قد يؤدي إلى أحكام غير عادلة، وهو ما يتعارض مع مبادئ العدالة المهنية³⁰ وعليه، فإن تحقيق التوازن بين الفعالية الأمنية والالتزام الأخلاقي يمثل شرطاً أساسياً لاعتماد لغة الجسد كأداة علمية موثوقة في العمل الأمني.

وفي تقدير الباحث؛ فإن قيمة لغة الجسد في العمل الأمني لا تتحقق بمجرد امتلاك القدرة على ملاحظة الإيماءات، بل تتوقف أساساً على سلامة المنهج الذي تُقرأ من خلاله تلك الإيماءات، وعلى الوعي بحدودها المعرفية والأخلاقية. فالسلوك غير اللفظي، مهما بلغت دلالاته، لا يرقى بذاته إلى مرتبة الدليل القاطع، وإنما يظل مؤشراً احتمالياً يجب إدماجه ضمن شبكة أوسع من القرائن والسياقات وخط الأساس السلوكي للفرد. كما يرى الباحث أن الاستخدام المهني الرشيد لهذه الأداة يقتضي التحرر من التفسيرات الانطباعية، ومقاومة التحيزات الثقافية والشخصية، والالتزام الصارم بمبادئ العدالة واحترام الكرامة الإنسانية؛ لأن أي توظيف أمني للغة الجسد يفقد مشروعيته العلمية متى انفصل عن الضبط المنهجي والمسؤولية الأخلاقية.

المبحث الثاني

آليات التدريب على لغة الجسد في النماذج الدولية (دراسة مقارنة)

المطلب الأول: الأطر الفلسفية والنظرية لبرامج التدريب السلوكي الدولية

ينطلق التدريب الأمني العالمي من تساؤل جوهري حول "الغاية" من قراءة لغة الجسد؛ هل هي لإثبات التهمة أم لاستجلاء الحقيقة؟ هذا التساؤل أنتج تمايزاً فلسفياً بين مدرستين رئيسيتين تحكمان آليات التأهيل السلوكي للكوادر الأمنية في العالم.

الفرع الأول: عقيدة "الاستجواب الاتهامي" مقابل "المقابلة الاستقصائية" وأثرها على قراءة الجسد

تتجسد العقيدة الأولى في "الاستجواب الاتهامي" وهي العقيدة التي هيمنت على التدريب في الولايات المتحدة الأمريكية لعقود، ولا تزال تمثل ركيزة أساسية في تكتيكات مدرسة (Reid Technique) تقوم الفلسفة التدريبية هنا على افتراض مسبق بالذنب، حيث يدرّب المحقق على استخدام لغة الجسد كأداة "للمواجهة والضغط"؛ فالهدف هو دفع المشتبه به نحو الاعتراف عبر رصد مؤشرات "المقاومة النفسية"³¹، في هذا الإطار، يفسر التدريب حركات مثل تجنب الاتصال البصري أو التملل في المقعد كدلالات قاطعة على الذنب، مما يدفع المحقق لزيادة حدة المواجهة. وأثر ذلك على قراءة الجسد يكمن في خلق بيئة "عالية التوتر" تؤدي بالضرورة إلى استجابات فيزيولوجية حادة (مثل تعرق الراحتين أو جفاف الفم)، والتي تستخدم لاحقاً لتعزيز فرضية الاتهام³²، و في المقابل تتبنى المدرسة الأوروبية وعلى رأسها النموذج البريطاني والسكندنافي عقيدة المقابلة الاستقصائية القائمة على نموذج (PEACE)³³، حيث تنطلق هذه الفلسفة من مبدأ "الحياد المنهجي"، حيث لا ينظر إلى لغة

³⁰ الجمعية العربية لعلم النفس (2020). أخلاقيات الممارسة المهنية في علم النفس. متاح على: مواقع الجمعيات العلمية العربية.

³¹ Inbau, F. E., Reid, J. E., Buckley, J. P., & Jayne, B. C. (2013). Criminal Interrogation and Confessions. Jones & Bartlett Publishers, pp. 110-125.

³² Kassin, S. M. (2014). "False Confessions: Causes, Consequences, and Implications for Reform". Policy Insights from the Behavioral and Brain Sciences, 1(1), pp. 112-121.

³³ PEACE: Planning and Preparation, Engage and Explain, Account, Clarification and Challenge, Closure, Evaluation؛ (التخطيط والإعداد، التفاعل والشرح، الحصول على الرواية وتوضيحها واختبارها، الإغلاق، ثم التقييم)؛ College of Policing، ويهدف إلى جمع المعلومات بطريقة مهنية محايدة، بعيداً عن أساليب الضغط وانتزاع الاعتراف. "Investigative Interviewing," accessed April 8, 2026.

الجسد كدليل إدانة، بل كخارطة طريق لتوجيه الأسئلة. والتدريب في هذه المدرسة يركز على "الملاحظة الصامتة" وتجنب الضغط النفسي لأن الهدف هو الحفاظ على "نقاء المعلومة" ومنع الاعترافات القسرية³⁴، ويظهر الأثر الجوهرى لهذا المنهج في أن المحقق لا يقفز إلى الاستنتاجات بناء على إيحاء منفردة، بل يبحث عن "التوافق" بين ما يقوله اللسان وما يبديه الجسد في بيئة هادئة تسمح بظهور السلوك الطبيعي للمستجوب، مما يجعل قراءة الجسد أكثر موضوعية وأقل عرضة للتحيز الشخصي للمحقق.

الفرع الثاني: المرجعية النفسية للنماذج الدولية (من مدرسة "كشف الكذب" إلى مدرسة "تحليل الحمل المعرفي")

شهدت المرجعية النفسية لبرامج التدريب الأمني تحولاً جذرياً؛ حيث كانت كلاسيكيات التدريب تعتمد كلياً على مدرسة "كشف الكذب" التقليدية التي قادها علماء مثل "بول إيكمان". وترتكز هذه المدرسة على فكرة "بينوكيو" السلوكية³⁵، أي أن هناك علامات جسدية كونية تظهر دائماً عند الكذب (مثل التعبيرات الدقيقة الخاطفة وبناء عليه، كان التدريب يهدف إلى تحويل رجل الأمن إلى "رادار" يلتقط هذه العلامات بوصفها أدلة بيولوجية على الخداع³⁶، ومع ذلك واجهت هذه المدرسة انتقادات تتعلق بصعوبة تعميم هذه العلامات نظراً للاختلافات الفردية والثقافية، مما أدى إلى ظهور مدرسة أحدث وأكثر رصانة علمية تعرف بـ "تحليل الحمل المعرفي" و تعد مدرسة "الحمل المعرفي" التي يتصدرها الباحث "ألديرت فريج (Aldert Vrij)" المرجعية النفسية الأحدث في برامج التدريب الأمنية المتقدمة (مثل النموذج البريطاني والفرنسي). تقوم فلسفة هذه المدرسة على حقيقة علمية مفادها أن "الكذب عملية ذهنية مرهقة" تتطلب مجهوداً يفوق قول الصدق؛ فالمخادع يجب أن يبتكر قصة متماسكة، ويراقب رد فعل المحقق، ويتحكم في جسده في آن واحد³⁷، والتدريب هنا لا يبحث عن "علامات الكذب"، بل يبحث عن "مؤشرات المجهود الذهني"؛ فعندما يزداد الحمل المعرفي على المشتبه به، تظهر تغيرات جسدية محددة مثل: انخفاض معدل رمش العين، تضاول حركات اليدين التعبيرية (التجمد الحركي)، وزيادة فترات الصمت بين الكلمات³⁸، هذا التحول المنهجي في التدريب نقل رجل الأمن من دور "القاضي

<https://www.college.police.uk/app/investigation/investigative-interviewing/investigative-interviewing>.

ويهدف إلى جمع المعلومات بصورة مهنية محايدة، بعيداً عن أساليب الضغط وانتزاع الاعتراف.

³⁴ Milne, R., & Bull, R. (1999). *Investigative Interviewing: Psychology and Practice*. John Wiley & Sons, pp. 45-50.

³⁵ فكرة بينوكيو السلوكية هي افتراض أن الكذب يسرّب مؤشرات غير لفظية أو فسيولوجية تكشفه، لكن البحث العلمي لا يعدّ هذه المؤشرات أدلة قطعية، بل قرائن احتمالية تُفهم فقط داخل سياق تحليلي أوسع، Paul Ekman and Wallace V. Friesen, "Nonverbal Leakage and Clues to Deception," *Psychiatry* 32, no. 1 (1969): 88-106.

³⁶ Ekman, P. (2009). *Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics, and Marriage*. W. W. Norton & Company, pp. 80-95.

³⁷ Vrij, A. (2018). *Detecting Lies and Deceit: Pitfalls and Opportunities*. 2nd Edition, Wiley-Blackwell, pp. 215-230.

³⁸ Vrij, A., Granhag, P. A., & Porter, S. (2010). "Pitfalls and Opportunities in Nonverbal Lie Detection". *Psychological Science in the Public Interest*, 11(3), pp. 89-121.

السلوكي" الذي يبحث عن الذنب، إلى دور "المحلل السلوكي" الذي يراقب كيفية معالجة الدماغ للمعلومات، وهو ما يرفع من دقة النتائج الأمنية ويقلل من نسب الخطأ البشري في التقييم الميداني³⁹. وفي تقدير الباحث؛ فإن المقارنة بين النموذج الاتهامي الأمريكي والنموذج الاستقصائي الأوروبي تكشف عن تحول جوهري في فلسفة العمل الأمني من منطق البحث عن الإدانة إلى منطق البحث عن الحقيقة. فالنموذج الأول، حين يبني إجراءاته على افتراض مسبق بالذنب، يجعل لغة الجسد أداة ضغط وتأويل انتقائي، ويفتح الباب أمام تضخيم المؤشرات الانفعالية الناتجة عن التوتر الطبيعي بوصفها أدلة على الخداع؛ وهو ما يضعف القيمة العلمية للتحليل السلوكي، ويزيد من احتمال الخطأ والاعترافات غير المؤثوقة. أما النموذج الثاني، القائم على الحياد المنهجي وتحليل الحمل المعرفي، فيمثل في نظر الباحث نقلة أكثر نضجاً ورسالة؛ لأنه يتعامل مع الجسد بوصفه مصدرًا لاحتمالات تفسيرية تُفحص ضمن السياق، وتُربط بطريقة معالجة الفرد للمعلومة تحت الضغط. كما يرى الباحث أن مستقبل التدريب الأمني الفاعل لا يكمن في مراكمة تقنيات "كشف الكذب" بمعناها التقليدي، بل في بناء محقق محترف يجمع بين الانضباط المنهجي، والفهم النفسي، والحياد الإجرائي، بحيث يصبح التحليل السلوكي أداة لتحسين جودة التقدير الأمني، لا وسيلة لتبرير أحكام مسبقة.

المطلب الثاني: التحليل الإجرائي للنماذج الدولية الرائدة (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا)

تتمحور المناهج التدريبية في هذه النماذج حول "المحتوى الإجرائي" الذي يحدد الأولويات الميدانية؛ فبينما يركز النموذج الأمريكي على "التنميط"، يركز البريطاني على "المعالجة الذهنية"، في حين يركز الفرنسي على "الضبط التفاعلي".

الفرع الأول: تكتيكات "وحدة التحليل السلوكي" (BAU)⁴⁰ وتطبيقات التنميط الجسدي في النموذج الأمريكي يتمحور التدريب الإجرائي في مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) حول مفهوم "البصمة السلوكية" لا يتدرب العميل الأمريكي على رصد الكذب فحسب، بل على "تنميط الشخصية" من خلال لغة الجسد. يتضمن التدريب تكتيكات رصد "السلوكيات ما قبل الإجرامية" حيث يتم تعليم المتدربين كيفية التمييز بين "التوتر الطبيعي" لمرئادي الأماكن العامة وبين "التوتر الجرمي" الذي يظهر في حركات لإرادية مثل "التثبيت البصري" للأهداف الأمنية أو "التحفز العضلي" للمباغثة⁴¹.

إجرائياً، تتبنى وحدة (BAU) تدريباً متقدماً على "قراءة المجموعات السلوكية" بدلاً من الإيماءات المنفردة. يتم تدريب المحققين على رصد "التنافر السلوكي"؛ فإذا كان المشتبه به يلفظ كلمات "الندم" بينما تظهر على وجهه "ومضة ازدراء" أو "ابتسامة مكبوتة"، فإن المحقق يتدرب على اعتبار ذلك دليلاً على التلاعب النفسي. كما يشمل التدريب "تطبيقات الحيز المكاني" أي كيفية استخدام المسافة الجسدية لانتزاع الاعتراف، حيث يتم تدريب المحقق على اختراق "المنطقة الخاصة" للمشتبه به تدريجياً لمراقبة ردود فعل جسده وتحديد اللحظة التي يصل فيها إلى "نقطة الانهيار النفسي"⁴².

الفرع الثاني: بروتوكول (PEACE) وآليات المراقبة الصامتة للتدفق السلوكي في النموذج البريطاني

في المملكة المتحدة، تتدرب الكوادر الأمنية على بروتوكول (PEACE) الذي يركز إجرائياً على "نقاء الملاحظة". التدريب البريطاني يمنع المحقق من "توجيه" السلوك الجسدي للمستجوب، بل يعلمه كيف يكون

³⁹حمادية، أسماء (2024). دور العلامة في التحقيق الجنائي: مقارنة سيميوجنائية. مجلة الباحث في العلوم القانونية والسياسية، المجلد 11، العدد 1، ص 248.

⁴⁰وحدة التحليل السلوكي (BAU) هي اختصار لـ Behavioral Analysis Unit؛ أي وحدة متخصصة في تحليل السلوك الإجرامي والتهديدات داخل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي. وتتمثل وظيفتها الأساسية في تقديم دعم تحليلي وتحقيقي للجهات الأمنية عبر فهم أنماط السلوك، وتقييم التهديد، واقتراح استراتيجيات المقابلة والتحقيق، والمساعدة في القضايا العنيفة أو المعقدة أو المتسلسلة. *FBI, "Behavioral Analysis," Federal Bureau of Investigation*, accessed April 8, 2026, <https://www.fbi.gov/how-we-investigate/behavioral-analysis>.

⁴¹ Douglas, J. E., & Olshaker, M. (2017). *Mindhunter: Inside the FBI's Elite Serial Crime Unit*. Simon & Schuster, pp. 88-94.

⁴² Navarro, J. (2018). *The Dictionary of Body Language: A Field Guide to Human Behavior*. HarperCollins, pp. 12-25.

"مرأة صامتة". الآلية الإجرائية هنا تسمى "تحليل الفجوات السلوكية" حيث يتدرب الضابط على تسجيل الملاحظات حول التغيرات الجسدية التي تطرأ عند انتقال الحديث من "الموضوعات المحايدة" إلى "الموضوعات الجوهرية" في القضية⁴³.

يتدرب المحقق البريطاني على آلية "المقابلة المعرفية" وهي إجراء يهدف إلى زيادة "الحمل الذهني" على المستجوب. إجرائياً، يطلب من المتدرب مراقبة "التدفق الحركي"؛ فالمخادع يميل إجرائياً إلى تقليل حركات اليدين لأنه يركز طاقته في تأليف الكلام، وهذا "السكون الحركي المفتعل" هو ما يتدرب الشرطي البريطاني على رصده كمؤشر للخداع. كما يتم التدريب على "الاستماع البصري"، وهو إجراء يربط بين نبذة الصوت وحركة العين، لضمان عدم حدوث أي "تلوث للمعلومات" ناتج عن ضغط المحقق، مما يحقق أعلى معايير العدالة الجنائية⁴⁴.

الفرع الثالث: المقاربة التوليفية للشرطة الفرنسية: الدمج بين الحس الميداني والبرمجة اللغوية العصبية (NLP)

تتفرد المناهج التدريبية الفرنسية (في الشرطة والدرك الوطني) بدمج تقنيات "البرمجة اللغوية العصبية" (Neuro-Linguistic Programming - NLP) كأداة إجرائية رسمية. يتدرب الضابط الفرنسي على تقنية "المعايرة" وهي مهارة دقيقة تهدف إلى قراءة الحالة الداخلية للأخر من خلال مراقبة أدق التغيرات الفيزيولوجية مثل: سرعة رمش العين، درجة امتلاء الأوعية الدموية في الوجه (الاحمرار أو الشحوب)، وتغير نمط التنفس⁴⁵.

إجرائياً، يتم التدريب على "المجارة ثم القيادة" (Pacing and Leading)؛ حيث يتعلم رجل الأمن كيفية "تقليد" لغة جسد الطرف الآخر (بشكل غير ملحوظ) لبناء جسر من الثقة النفسية ثم يبدأ بتغيير لغة جسده هو ليقود الطرف الآخر نحو الهدوء أو الإفصاح. كما يركز النموذج الفرنسي على "الملاحظة الميدانية العابرة"؛ حيث يتم تدريب أفراد الدوريات على تقنية "المسح السلوكي" لضبط "المنحرفين سلوكياً" في الأماكن المزدحمة بناء على "الإيقاع الحركي" غير المتسق مع المحيط، مما يدمج بين العلم النفسي والحس الأمني الميداني التقليدي بشكل احترافي⁴⁶.

وفي تقدير الباحث؛ فإن المقارنة بين النماذج الأمريكية والبريطانية والفرنسية تكشف أن الاختلاف الحقيقي بينها لا ينحصر في الأدوات الإجرائية، بل يمتد إلى الفلسفة التي تحكم فهم السلوك الإنساني ذاته. فالنموذج الأمريكي يميل إلى توظيف الجسد ضمن منطق التنميط والكشف الاستباقي، بما يعزز النزعة التفسيرية المرتبطة بالاشتباه؛ في حين يتجه النموذج البريطاني إلى ضبط الملاحظة وتحديد أثر المحقق، بما يجعل الجسد مؤشراً تفسيريًا يخدم جودة المعلومة لا فرضية الإدانة. أما النموذج الفرنسي، فيعكس مقاربة توليفية تمزج بين الحس الميداني وأدوات التأثير التفاعلي، وإن كان ذلك يثير إشكالات علمية ومنهجية متى استند إلى أدوات غير محسومة الصلاحية. وعليه يرى الباحث أن النموذج الأكثر اتساقاً مع المهنية الأمنية المعاصرة هو ذلك الذي يتعامل مع لغة الجسد باعتبارها معطى احتمالياً مركباً، لا أداة تنميط جاهزة، ويجعل من التحليل السلوكي وسيلة لتحسين التقدير والقرار، لا ذريعة لإنتاج أحكام مسبقة أو توسيع هامش الخطأ المهني.

المطلب الثالث: الوسائط التكنولوجية والمنهجيات البيداغوجية في التأهيل الأمني

لا يقتصر نجاح التدريب على لغة الجسد على دقة المعلومة فحسب، بل يعتمد بالدرجة الأولى على "المنهجية البيداغوجية" التي تضمن نقل المتدرب من مرحلة "الإدراك النظري" إلى مرحلة "الاستجابة التلقائية". وقد

⁴³ Milne, R., & Bull, R. (2016). Investigative Interviewing: Psychology and Practice. 2nd Edition, Wiley, pp. 110-115.

⁴⁴ Vrij, A. (2019). "Deception Detection in the Real World". Journal of Applied Research in Memory and Cognition, 8(2), pp. 233-240.

⁴⁵ Ginet, G. (2010). Les techniques d'entretien en gendarmerie: Approche psychologique. Paris: PUF, pp. 62-68.

⁴⁶ حمادي، أسماء (2024). دور العلامة في التحقيق الجنائي: مقارنة سيميوجنائية. مجلة الباحث في العلوم القانونية والسياسية، ص 246-247.

فرضت التحديات الأمنية المعاصرة اللجوء إلى أدوات تكنولوجية تتيح تكرار المواقف الأمنية المعقدة في بيئات مسيطر عليها.

الفرع الأول: دور المحاكاة الواقعية والنمذجة السلوكية في صقل مهارات رصد الإيماءات

تعد "النمذجة السلوكية" (المرتكز البيداغوجي الأهم في تدريب الكوادر الأمنية، وهي منهجية مستمدة من نظرية التعلم الاجتماعي) لـ "ألبرت باندورا". إجرائياً، يتم التدريب عبر ثلاث مراحل متسلسلة: "الملاحظة"، ثم "التقليد"، ثم "التغذية الراجعة". يبدأ المتدربون بمشاهدة نماذج (عبر الفيديو أو المدرب) لمواقف أمنية حقيقية، حيث يتم تفكيك الإيماءات الجسدية للمشتبه بهم وتحليل "مجموعات السلوك" (المرتبطة بالخداع أو التهديد)⁴⁷. تأتي بعد ذلك مرحلة "المحاكاة الواقعية" حيث يتم وضع المتدرب في مواجهة مباشرة مع "ممثلين سلوكيين" مدربين على محاكاة لغة جسد المجرمين، كالمضطربين نفسياً أو الإرهابيين المحتملين. تكمن القيمة المضافة هنا في صقل مهارة "المعايرة السريعة"؛ أي قدرة المتدرب على رصد التغير في "خط الأساس السلوكي" للمشتبه به تحت الضغط. ويتم توثيق هذه الجلسات بكاميرات عالية الدقة لإعادة عرضها مما يسمح للمتدرب برؤية الفجوات في ملاحظته الشخصية وتصحيح انحرافات التفسير الذاتي لديه، وهي عملية ضرورية لتحويل "الحس الأمني" من موهبة فطرية إلى مهارة تقنية منضبطة⁴⁸.

الفرع الثاني: توظيف تقنيات الواقع الافتراضي (VR) والذكاء الاصطناعي في قياس دقة الاستجابة السلوكية للمتدرب

يمثل دمج الواقع الافتراضي (Virtual Reality - VR) قفزة نوعية في "السيناريوهات الأمنية الغامرة". تتيح هذه التقنية وضع المتدرب داخل "مسرح جريمة افتراضي" أو "غرفة استجواب رقمية" تتسم بالواقعية الشديدة. تكمن الميزة الكبرى لـ (VR) في قدرته على "توحيد المعايير"؛ حيث يواجه جميع المتدربين نفس "الشخصية الافتراضية (Avatar)" التي تؤدي تعبيرات دقيقة مبرمجة بدقة زمنية تصل إلى أجزاء من الثانية، وهو ما يعجز الممثل البشري عن تكراره بنفس الدقة لكل متدرب⁴⁹. ويتم دمج "الذكاء الاصطناعي (AI)" و"الحوسبة الوجدانية" في المنظومة التدريبية لتقييم أداء المتدرب نفسه. تقوم خوارزميات الذكاء الاصطناعي بتحليل لغة جسد المتدرب أثناء المواجهة، وقياس مستوى ثباته الانفعالي، وسرعة رصده للإيماءات المرعبة من خلال "تقنيات تتبع حركة العين" هذا النظام يوفر "تقارير تحليلية" فورية توضح مدى دقة المتدرب في رصد علامات الخطر، ونوع التعبيرات التي يفشل عادة في التقاطها، مما يسمح بتصميم خطط تدريبية "شخصية" تعالج نقاط الضعف الفردية لدى كل كادر أمني⁵⁰. إن هذا التكامل التقني يضمن تخرج كوادر قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية بناء على قراءة سلوكية دقيقة ومثبتة تكنولوجياً، بعيداً عن العشوائية أو التخمين⁵¹.

المطلب الرابع: المقارنة المعيارية والمفاضلة بين النماذج الدولية (نتائج المقارنة)

تعتمد جودة الأنظمة الأمنية على قدرتها على الموازنة بين "الفعالية الإجرائية" في كشف الجريمة وبين "المشروعية القانونية" في صون حقوق الإنسان ومن خلال تشريح النماذج الثلاثة، نخلص إلى النتائج الآتية:

⁴⁷ Bandura, A. (1977). Social Learning Theory. Prentice-Hall, pp. 22-28.

⁴⁸ Bull, R. (2014). Investigative Interviewing. Springer, New York, pp. 102-110.

⁴⁹ Hulse, L., & Memon, A. (2006). "Fatal Impact? The effects of emotional arousal and physical exertion on police officers' recall and body language detection". Applied Cognitive Psychology, 20(3), pp. 313-327.

⁵⁰ Vinciarelli, A., et al. (2012). "Social Signal Processing: State-of-the-art and Future Perspectives". IEEE Transactions on Affective Computing, 3(1), pp. 3-16.

⁵¹ الصباغ، حسن (2024). التقنيات الحديثة في الاستجواب الجنائي وكشف الخداع. دار الفكر القانوني، ص 135-128.

أولاً: جدول مقارنة معياري

يوضح الجدول أدناه التباينات الجوهرية بين المدارس الثلاث بناء على معايير الأداء والبيئة القانونية:

معياري المقارنة	النموذج الأمريكي (BAU/Reid)	النموذج البريطاني (PEACE)	النموذج الفرنسي (Gendarmerie/Police)
الفلسفة المنهجية	اتهامية (Accusatory)	استقصائية (Information-gathering)	توليفية (تفاعلية ميدانية)
الهدف الرئيسي	انتزاع الاعتراف وكشف الكذب الفوري	جمع المعلومات وتقليل "تلوث" الإفادات	الضبط الميداني وبناء الألفة (Rapport)
الأداة التدريبية	المحاكاة عالية التوتر والتنميط	الواقع الافتراضي والحمل المعرفي	البرمجة اللغوية (NLP) والمعايرة
الضوابط القانونية	مرنة (تسمح بالمناورة النفسية)	صارمة جداً (تركز على حقوق المتهم)	متوازنة (تتبع الإجراءات الجنائية الفرنسية)
وضعية لغة الجسد	دليل إدانة أولي ومحفز للضغط	مؤشر لتحليل الصدق وتوجيه الأسئلة	أداة وقائية ميدانية وسيكولوجية

ثانياً: تحليل نقاط القوة والضعف (SWOT Analysis) لكل نموذج

يوضح هذا التحليل مدى صمود كل نموذج أمام تحديات الإجراء الحديث (مثل الإرهاب الفردي والجرائم المنظمة):

- نقاط القوة: الحسم السريع في القضايا الحرجة، والخبرة الواسعة في التنميط السلوكي للمجرمين المتسلسلين.
- نقاط الضعف: ارتفاع احتمالية "الاعترافات الزائفة" نتيجة الضغط النفسي الشديد، وتحيز المحقق⁵²
- نقاط القوة: الدقة العالية في المعلومات، والالتزام الصارم بحقوق الإنسان، مما يقلل من بطلان الإجراءات أمام القضاء.
- نقاط الضعف: يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً ذهنياً كبيراً من المحقق، وقد لا يناسب المواقف الميدانية الضاغطة.
- نقاط القوة: الشمولية والقدرة على التكيف مع العمليات الميدانية والتحقيقية في آن واحد، واستخدام تقنيات نفسية حديثة (NLP).
- نقاط الضعف: تعقيد المحتوى التدريبي وصعوبة إتقان "المعايرة السيكولوجية" من قبل جميع الكوادر الأمنية⁵³.

ثالثاً: معايير "التبينة المنهجية": مدى ملاءمة هذه النماذج للبيئات الأمنية العربية

عند التفكير في نقل هذه التجارب إلى البيئة الأمنية العربية، تبرز ضرورة "التبينة": أي موازنة المنهج مع الخصوصية الثقافية والقانونية، وذلك وفق المعايير الآتية:

- المعيار الثقافي والاجتماعي: تختلف دلالات لغة الجسد في المجتمعات العربية (مثل معايير الحيز المكاني والاتصال البصري) عن المجتمعات الغربية. فالنموذج الأمريكي قد يفسر "الحياء" أو تجنب البصر في البيئة

⁵² Kassin, S. M. (2014). "False Confessions: Causes, Consequences, and Implications for Reform". Policy Insights from the Behavioral and Brain Sciences, 1(1), pp. 115-118.

⁵³ Ginet, G. (2010). Les techniques d'entretien en gendarmerie. Presses Universitaires de France, p. 75.

العربية كدليل ذنب، بينما قد يكون تعبيراً عن الاحترام أو الطبيعة المحافظة؛ لذا يجب تعديل "مصوفة التفسير" لتناسب القيم المحلية⁵⁴

● المعيار القانوني والتشريعي: تتجه التشريعات العربية الحديثة نحو تعزيز ضمانات التحقيق؛ مما يجعل النموذج البريطاني (PEACE) هو الأقرب للمواءمة مع التوجهات العدلية المعاصرة التي ترفض الضغط النفسي وتعتمد على الدليل المادي والسلوكي المحايد.

● معيار التطور التكنولوجي: تفتقر بعض الأكاديميات العربية إلى بنية تحتية للواقع الافتراضي (VR) المتقدم؛ لذا يمكن البدء بالنموذج الفرنسي الذي يعتمد على "الحس الميداني" والنمذجة السلوكية اليدوية، مع إدخال التقنيات تدريجياً⁵⁵

إن التصور الأمثل للبيئة العربية يكمن في "نموذج هجين" يجمع بين دقة التنميط الأمريكي، وموضوعية الاستقصاء البريطاني، والذكاء التفاعلي الفرنسي، مع ضبطه بمعايير السلوك الاجتماعي العربي.

رابعا : خلاصة التحليل و المقارنة المعيارية والمفاضلة بين النماذج الدولية (نتائج المقارنة)

تتجلى أولى خلاصات المقارنة في أن كفاءة النموذج الأمني لا تقاس بمدى قدرته على "ضبط" الحركة الجسدية فحسب، بل بمدى مواءمة هذه القراءة مع النظام القانوني للدولة؛ فالنموذج البريطاني (PEACE) أثبت تفوقاً أخلاقياً وقانونياً من خلال تحويل لغة الجسد من أداة "اتهام" إلى أداة "استقصاء"، مما يقلل من احتمالية بطلان الاعترافات قضائياً، بينما يظل النموذج الأمريكي (FBI) هو الأكثر حزماً في القضايا التي تمس الأمن القومي والتي تتطلب "تنميطاً سلوكياً" استباقياً للمجرمين ذوي الخطورة العالية، مما يجعله نموذجاً "عملياً" بامتياز.

وفيما يتعلق بالوسائل المنهجية، يظهر التحليل أن النماذج التي دمجت "الواقع الافتراضي (VR) والذكاء الاصطناعي في التدريب قد حققت قفزة نوعية في "معايير" التقييم؛ حيث تغلبت هذه التقنيات على "ذاتية" المدرب البشري وقدمت قياسات دقيقة لسرعة استجابة المتدرب للإيماءات الدقيقة (Micro-expressions)، وهو ما يفتقر إليه التدريب التقليدي الذي يعتمد على المحاكاة البشرية فقط. إن هذا التحول التقني يضمن تخرج كوادرات أمنية تمتلك "ذاكرة عضلية وبصرية" قادرة على رصد التهديدات في أجزاء من الثانية وبدقة إحصائية مرتفعة.

أما على مستوى "التبينة المنهجية"، فإن المفاضلة النهائية تشير إلى أن البيئة الأمنية العربية تتطلب "نموذجاً هجيناً (Hybrid Model) يستلهم روح "المعايرة السيكولوجية" الفرنسية و"الموضوعية" البريطانية، مع ضرورة إعادة صياغة مصفوفة التفسير الجسدي لتتفق مع "الخصوصية الثقافية العربية"؛ فالإيماءات الجسدية ليست لغة كونية مطلقة، بل هي سلوك محكوم بالسياق الثقافي، وهو ما يستوجب بناء "قاعدة بيانات سلوكية" محلية لا تكتفي بالنقل الحرفي من النماذج الغربية، بل تطوعها لخدمة الحس الأمني العربي الأصيل.

وفي تقدير الباحث؛ تكشف نتائج هذا التحليل أن المفاضلة بين النماذج الدولية لا ينبغي أن تُبنى على منطق الأفضلية المطلقة، بل على معيار الملاءمة الوظيفية والقانونية والثقافية؛ إذ يظهر النموذج الأمريكي أكثر فاعلية في البيئات العملية عالية الخطورة التي تتطلب سرعة في التنميط والاستجابة، غير أن هذه الفاعلية تقابلها كلفة مرتفعة على مستوى الضمانات الإجرائية واحتمال التحيز. في المقابل، يثبت النموذج البريطاني تفوقه من حيث سلامة المعلومة، وانضباط التفسير، والاتساق مع العدالة الإجرائية، لكنه يظل أقل مرونة في المواقف الميدانية الضاغطة. أما النموذج الفرنسي فيقدم قيمة مضافة من حيث التكيف والمزج بين الحس الأمني والتفاعل النفسي، إلا أن بعض أدواته تظل بحاجة إلى مزيد من الضبط العلمي والتقني. وبناء على ذلك؛ يرى الباحث أن النتيجة الأكثر واقعية للبيئة الأمنية العربية تتمثل في تبني نموذج هجين، ينتقي من هذه النماذج عناصرها الأكثر صلاحية، ويعيد تركيبها ضمن إطار تشريعي وأخلاقي محلي، مع تأسيس قاعدة تفسير سلوكي عربية تراعي الخصوصية

⁵⁴الصباغ، حسن (2024). التقنيات الحديثة في الاستجواب الجنائي وكشف الخداع. دار الفكر القانوني، ص 142. (حول الخصوصية الثقافية في قراءة لغة الجسد

⁵⁵حمادية، أسماء (2024). دور العلامة في التحقيق الجنائي: مقارنة سيميوجناثية. مجلة الباحث في العلوم القانونية والسياسية، المجلد 11، العدد 1، ص 249.

الثقافية، وتستثمر في التدريب التقني التدريجي، بحيث يصبح التحليل السلوكي أداة لتعزيز دقة القرار الأمني لا مجرد استنتاج لنماذج أجنبية مختلفة السياق والافتراضات. كما تؤكد نتائج المقارنة أن التطوير المنشود في التدريب الأمني يجب أن ينتقل من مدرسة "كشف الكذب" التقليدية التي أثبتت الدراسات الحديثة محدوديتها، إلى مدرسة "تحليل الحمل المعرفي (Cognitive Load)"؛ حيث يتم تدريب رجل الأمن على مراقبة المجهود الذهني الذي يبذله الجاني للسيطرة على جسده، وهو المعيار الأكثر صدقاً وثباتاً علمياً، حيث أن هذا التوجه يرفع من مهنية المؤسسة الأمنية ويحولها إلى منظومة تعتمد على "الدليل العلمي السلوكي" في مواجهة تعقيدات الإجرام المعاصر.

المبحث الثالث التصور المقترح لتطوير التدريب الأمني على لغة الجسد

المطلب الأول: مرتكزات "المقاربة التوليفية" المقترحة (الأسس الفلسفية)
لا يمكن بناء منظومة تدريبية فعالة دون إرساء قواعد فلسفية وسيكولوجية تتناسب مع طبيعة المجتمع المحيط. يرتكز هذا التصور على فلسفة "التوليف الاستراتيجي" الذي يجمع بين الأصالة الثقافية والفاعلية الميدانية.

الفرع الأول: تبينة المنهجيات العالمية بما يتوافق مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية للبيئة العربية والأمنية
تعد الثقافة الموجه الخفي للسلوك غير اللفظي؛ فوفقاً لعالم الأنثروبولوجيا "إدوارد هول (Edward T. Hall)"، تصنف المجتمعات العربية ضمن "ثقافات السياق العالي"، حيث يعتمد التواصل على الإيماءات والمسافات الجسدية أكثر من الكلمات المباشرة⁵⁶، ومن هذا المنطلق، يمثل استيراد القواميس السلوكية الغربية (مثل أدلة الـ FBI) وتطبيقها بحذافيرها "خللاً منهجياً" قد يؤدي إلى استنتاجات أمنية كارثية على سبيل المثال، يفسر النموذج الأمريكي "تجنب الاتصال البصري" أثناء الاستجواب كعلامة قوية على الخداع أو إخفاء المعلومات. في المقابل، تملئ البنية الاجتماعية في البيئة العربية قيم "الاحترام السلطوي"؛ حيث يعد خفض البصر أمام المحقق أو رجل الأمن سلوكاً طبيعياً يعكس التوقير والمكانة الاجتماعية، وليس بالضرورة دليلاً على الذنب⁵⁷. لذلك، يقترح البحث وضع "مصفوفة سلوكية معربة" كأول خطوات التهيئة؛ تعتمد على تحديد "خط الأساس الثقافي" للمواطن العربي، بحيث يتم تدريب الكوادر الأمنية على التمييز الدقيق بين "السلوكيات الدفاعية الناتجة عن التوتر الجرمي" وبين "السلوكيات الناتجة عن الحياء أو الأعراف الاجتماعية".

الفرع الثاني: المزوجة بين "دقة التحليل السلوكي" (النموذج الأمريكي) و"موضوعية المقابلة الاستقصائية" (النموذج البريطاني)

المرتكز الثاني للمقاربة التوليفية هو تجاوز الاستقطاب بين المدرسة الأمريكية والبريطانية المحافظة، من خلال بناء "نموذج استجواب متسلسل (Sequential Hybrid Model)" يحقق التوازن بين صرامة القانون وفعالية التحقيق و يقترح هذا النموذج تدريب المحققين على تقسيم المقابلة الأمنية إلى مرحلتين تكتيكيتين:

- مرحلة التأسيس (بمرجعية بريطانية): تبدأ المقابلة باستخدام بروتوكول (PEACE) والمقابلة المعرفية الهادئة. الهدف هنا ليس انتزاع الاعتراف، بل بناء الألفة (Rapport) وإرساء "خط الأساس السلوكي" الفردي للمستجوب في حالة الاسترخاء، دون إثارة ميكانيزماته الدفاعية⁵⁸.
- مرحلة التشخيص (بمرجعية أمريكية): عند الانتقال لطرح "الأسئلة الحرجة" (المرتبطة بأداة الجريمة أو التواجد في المسرح)، يتحول المحقق داخلياً لتبني عدسة "وحدة التحليل السلوكي (BAU)". يبدأ هنا برصد "التسريبات السلوكية" والتعبيرات الدقيقة الناتجة عن ارتفاع الحمل المعرفي.

⁵⁶ Hall, E. T. (1976). Beyond Culture. Anchor Books, pp. 85-94.

⁵⁷ Matsumoto, D., & Hwang, H. C. (2013). "Assessing cross-cultural competence: A review of available tests". Journal of Cross-Cultural Psychology, 44(6), pp. 849-873.

⁵⁸ Bull, R. (2014). Investigative Interviewing. Springer, pp. 115-120.

كما يرى الباحث أن جدوى الأنموذج الهجين المتسلسل لا تكتمل بمجرد الجمع المرحلي بين المقابلة الهادئة والتحليل السلوكي الدقيق، بل تقتضي تدعيمه بحزمة أساليب مساندة ترفع من موثوقيته الإجرائية؛ من ذلك اعتماد مصفوفة خط أساس سلوكي تُبنى قبل الدخول في الأسئلة الحرجة، واستخدام التحليل الزمني للتغيرات بدل الاكتفاء بالملاحظة اللحظية، وربط مؤشرات الجسد ب أسئلة الحمل المعرفي المتدرج، مع توثيق المقابلة صوتاً وصورة لإتاحة المراجعة اللاحقة متعددة المقيمين وتقليل أثر الانطباع الفردي للمحقق. كما يقترح الباحث إدماج التقييم الثقافي المحلي في تفسير الإيماءات، وتفعيل التحليل التكاملية الذي يزاوج بين السلوك غير اللفظي، والمحتوى اللغوي، والقرائن الرقمية والمادية، لأن دقة كشف الخداع لا تتحقق من قناة واحدة. وعليه؛ فإن النموذج الأجدر بالتبني ليس هو الذي يبالغ في الثقة بالإشارة الجسدية، ولا الذي يعطل قيمتها التحليلية، بل ذلك الذي يحولها إلى جزء من منظومة فحص مركبة، منضبطة قانونياً، ومحيدة منهجياً، وعالية الكفاءة في إنتاج معلومة قابلة للاعتماد القضائي والأمني معاً.

المطلب الثاني: آليات التوظيف التقني والذكاء الاصطناعي في المنظومة التدريبية

إذا كانت الفلسفة تمثل "عقل" المقاربة التدريبية، فإن التقنية تمثل "عضلاتها". إن التحول الرقمي لم يعد خياراً ترفيهياً في قطاع الأمن، بل أصبح ضرورة حتمية لتوحيد المعايير وتقليص هامش الخطأ البشري.

الفرع الأول: منصات المحاكاة (Immersive Simulations): استخدام الواقع المعزز (AR) والافتراضي (VR) لتوليد سيناريوهات أمنية معقدة

يقترح التصور الانتقال ببرامج التدريب السلوكي من بيئة "المدرج والأوراق" إلى بيئة "التحصين ضد التوتر" باستخدام منصات الواقع الافتراضي (VR) والواقع المعزز (AR). و تسمح هذه التقنيات للمؤسسة الأمنية بتصميم "توائم رقمية" لبيئات العمل الحقيقية مثل نقاط التفتيش الحدودية، وبوابات المطارات، أو مناطق فض (الشغب). من خلال ارتداء نظارات (VR)، يوضع المتدرب في بيئة محاكاة غامرة تواجه فيها شخصيات افتراضية مبرمجة (Avatars) تؤدي سلوكيات طبيعية يتخللها فجأة ظهور "مؤشرات تهديد مسبقة" مثل التصلب العضلي المفاجئ أو إخفاء اليدين⁵⁹ وهذه المنصات تدرّب "الرؤية المحيطية" لرجل الأمن، وتصلّق قدرته على معالجة المعلومات السلوكية المتعددة في أجزاء من الثانية تحت ظروف تحاكي الضغط النفسي الحقيقي، وهو ما يعزز سرعة الاستجابة الميدانية.

الفرع الثاني: توظيف "خوارزميات التعرف على المشاعر (Emotion AI)" كأداة تصحيحية لتقييم دقة ملاحظة المتدرب في رصد التعبيرات الدقيقة

تعد الحوسبة الوجدانية الثورة القادمة في التدريب الأمني. يقترح هذا التصور الاستعانة بأنظمة الذكاء الاصطناعي المبنية على "نظام ترميز حركة الوجه (FACS)" الذي ابتكره بول إيكمان، ليس لاستجواب المشتبه بهم، بل كـ "مرشد بيداغوجي" يراقب ويقيم أداء المتدرب الأمني نفسه⁶⁰ و تتمثل الآلية في عرض تسجيلات فيديو عالية الدقة لاستجابات حقيقية أو محاكاة افتراضية أمام المتدرب. في الوقت ذاته، تقوم كاميرات مثبتة بتتبع حركة عين المتدرب تقوم خوارزمية (Emotion AI) بمقارنة دقة المتدرب مع البيانات الحقيقية؛ فإذا أظهر المشتبه به ومضة "خوف" لمدة 40 ملي ثانية ولم تلتقطها عين المتدرب (بناءً على بيانات التتبع)، يقوم النظام بإصدار تقرير فوري يحدد "الفجوات الإدراكية (Cognitive Blind Spots)" لديه. هذه التغذية الراجعة المبنية على البيانات تقضي على التحيز الشخصي للمدربين التقليديين، وتقدم تدريباً تشخيصياً يعالج نقاط الضعف الخاصة بكل محقق على حدة، مما يرفع من جودة وكفاءة الموارد البشرية الأمنية إلى مستويات غير مسبوقة.

⁵⁹ Giessing, L., et al. (2021). "The effects of virtual reality training on police officers' performance in high-stress situations". Police Practice and Research, 22(1), pp. 312-328.

⁶⁰ Picard, R. W. (1997). Affective Computing. MIT Press, pp. 50-65. & 77 Ekman, P., & Friesen, W. V. (1978). Facial Action Coding System: A Technique for the Measurement of Facial Movement. Consulting Psychologists Press.

المطلب الثالث: هندسة البرنامج التدريبي المقترح (المحتوى والمراحل)

لا يكتسب البرنامج التدريبي فاعليته من جودة مادته العلمية فحسب، بل من هندسته البيداغوجية المتماسكة التي تضمن تحويل المعرفة النظرية إلى استجابة ميدانية تلقائية. تتطلب هذه الهندسة المرور بثلاثة مسارات رئيسية:

أولاً: معايير استقطاب وتصنيف المتدربين (السمات النفسية والذكاء الاجتماعي المطلوب)

تخطئ بعض المؤسسات الأمنية حين تعتبر أن مهارة قراءة لغة الجسد يمكن تلقينها لأي كادر أمني بغض النظر عن سماته الشخصية. يؤكد التصور المقترح على ضرورة إخضاع المرشحين للتدريب لاختبارات قياس نفسية دقيقة قبل إلحاقهم بالبرنامج، تركز على المعايير الآتية:

- الذكاء الوجداني والاجتماعي: قدرة المتدرب على فهم انفعالاته الشخصية والتحكم فيها، لتجنب ما يعرف بـ "عدوى المشاعر" أثناء المواجهات الأمنية.
- المرونة المعرفية: القدرة على التخلي عن الافتراضات المسبقة وتغيير الاستنتاجات بناء على ما يستجد من أدلة سلوكية، لتجنب "الانحياز التأكيدي" (أي تفسير كل حركة على أنها دليل إدانة لخدمة شك مسبق لدى المحقق).
- سعة الذاكرة البصرية الدقيقة: امتلاك الموهبة الفطرية أو القابلية لتطوير مهارة التقاط التفاصيل البصرية العابرة التي تستغرق أجزاء من الثانية.

ثانياً: هيكلية المحتوى التدريبي (البناء المعرفي والمهاري)

يصمم المحتوى التدريبي وفق هيكلية هرمية متدرجة التعقيد، تشمل ثلاثة محاور أساسية:

- التأصيل السلوكي (علم نفس الوظائف الأعضاء): يركز هذا المحور على الجذور البيولوجية للغة الجسد، حيث يدرس المتدرب كيفية تفاعل الجهاز العصبي اللاإرادي مع الخوف والضغط، وآليات استجابة "المواجهة أو الهروب"، وكيف تترجم هذه التفاعلات الكيميائية إلى حركات جسدية ظاهرة كسرعة النبض، وتغير إيقاع التنفس، والتصلب العضلي.

- تكتيكات الملاحظة الميدانية (الحس الأمني الوقائي): يخصص للكوادر العاملة في الدوريات ونقاط التنفيس. يركز على مهارات "المسح البصري الشامل" للحشود، وتحديد "خط الأساس السلوكي" للبيئة المحيطة، ثم التقاط "الشذوذ السلوكي" المبكر الذي يسبق ارتكاب الجريمة، مثل محاولات إخفاء الملامح أو التمرکز في الزوايا العمياء.

- فن المقابلة الجنائية (الاستنتاج الصامت): يخصص للمحققين في غرف الاستجواب. يتدرب الضابط على تقنيات رفع "المجهود الذهني" للمشتبه به من خلال الأسئلة غير المتوقعة وسرد الأحداث عكسياً، مع التركيز على مراقبة "الفجوات السلوكية" والتناقض بين لغة اللسان ولغة الجسد المرافقة لها.

ثالثاً: مراحل الانتقال التدريبي (من المعرفة إلى التطبيق)

لضمان ترسخ المهارة، يمر المتدرب عبر سلسلة من العتبات التدريبية المترابطة:

- مرحلة التأسيس المعرفي: تقديم القواعد النظرية وعرض أرشيف مرئي لتسجيلات تحقيق حقيقية، لتحليل انفعالات المجرمين قبل ارتكاب جرائمهم وأثناء التحقيق معهم.
- مرحلة النمذجة السلوكية والمحاكاة: هي مرحلة "المختبر الأمني"، حيث يخضع المتدربون لسيناريوهات تقمص الأدوار ومحاكاة مواقف شديدة التعقيد والتوتر. يتم هنا استخدام الممثلين أو بيئات الواقع الافتراضي لاختبار قدرة المتدرب على الملاحظة تحت الضغط، مع توفير تغذية راجعة فورية ومصورة لتصحيح أخطائه.
- مرحلة التطبيق الميداني الخاضع للرقابة: لا يتخرج المتدرب بمجرد اجتياز المحاكاة، بل يتم إلحاقه بوحدة التحقيق الميدانية بصفة "مراقب مساعد" تحت إشراف ضباط متمرسين، ولا يمنح صلاحية الاستجواب المنفرد أو اتخاذ القرار الميداني إلا بعد اجتياز تقييمات ميدانية حقيقية تثبت نضج مهاراته السلوكية.

المطلب الرابع: استدامة الأثر التدريبي وآليات القياس والتقييم

تعتبر الميزانيات المخصصة للتدريب الأمني استثمارات استراتيجية، ولضمان جودة هذا الاستثمار وعدم تلاشي المهارات المكتسبة بمرور الوقت، لابد من بناء منظومة حازمة للقياس المستمر وتحديث المعطيات.

الفرع الأول: مؤشرات الأداء الرئيسية لقياس "دقة الرصد السلوكي" ومعدلات الخطأ

يجب أن تخضع المؤسسة الأمنية لنتائج برامجها التدريبية للقياس الكمي والنوعي المستمر، من خلال مؤشرات أداء دقيقة وصارمة، من أبرزها:

- معدل دقة الاشتباه الميداني: ويقاس بحساب نسبة الاستيقافات أو الاعتقالات التي تمت بناء على اشتباه سلوكي ميداني وتحولت لاحقاً إلى إدانات فعلية أو كشف لمنوعات، مقارنة بنسبة "الإنذارات الكاذبة" (الاستيقافات الخاطئة للأبرياء). انخفاض الإنذارات الكاذبة يعني نجاح التدريب.
- جودة الإفادات المستخلصة: تقييم مدى التحسن في حجم ودقة المعلومات التي يتم جمعها خلال المقابلات الاستقصائية، ومقارنتها بالأساليب التقليدية.
- معدل التجاوزات الانضباطية: قياس مدى انخفاض الشكاوى المسجلة ضد أفراد الأمن فيما يتعلق باستخدام القوة المفرطة أو الإكراه المعنوي أثناء الاستجوابات، وهو ما يعكس التزام المتدربين بقراءة لغة الجسد بشكل علمي هادئ عوضاً عن الاستفزاز والترهيب.
- الفرع الثاني: بناء "بنك المعطيات السلوكية" لضمان استمرارية التعلم
الجريمة كائن حي يتطور، والمجرمون يبتكرون باستمرار أساليب دفاعية جديدة لإخفاء توترهم وخداع رجال الأمن. ولمواجهة هذا التحدي، يقترح هذا المبحث تأسيس "بنك المعطيات السلوكية".
- مفهوم البنك: هو قاعدة بيانات مركزية ومصورة، تخضع لإدارة أكاديميات الشرطة وإدارات البحث الجنائي، تعنى بجمع وتحليل وتصنيف لغة الجسد الخاصة بالمجرمين المحليين.
- آلية العمل: يقوم المحققون والضباط الميدانيون بتغذية هذا البنك بشكل دوري بتقارير مفصلة حول "الأنماط السلوكية المستجدة" التي لاحظوها على أرباب السوابق أو في الجرائم المستحدثة (مثل جرائم الاحتيال المالي المعقدة أو الإرهاب الرقمي).
- الهدف الاستراتيجي: يقوم الباحثون في العلوم الجنائية بتحليل هذه المعطيات الجديدة، ومن ثم تحديث "المناهج التدريبية" وتعميم النشرات السلوكية المستحدثة على كافة الكوادر الأمنية. هذه الآلية تضمن عدم تجمد البرنامج التدريبي عند نظريات قديمة، وتخلق دائرة مستمرة من التعلم المؤسسي الذي يسبق بخطوات تطور العقل الإجرامي.
- إضافة إلى ما سبق؛ يرى الباحث أن استدامة الأثر التدريبي في مجال التحليل السلوكي لا تتحقق عبر الدورات التأسيسية القصيرة، بل من خلال برنامج عملي مستمر محسوب بالساعات، يضمن بقاء المهارة في حالة تحديث واختبار دائمين. ولذلك يقترح اعتماد برنامج سنوي لا يقل عن 120 ساعة تدريبية، تُوزع على مدار العام بصورة مرحلية؛ بحيث تشمل ساعات للمحاكاة التطبيقية، وساعات لتحليل المقابلات والتسجيلات الواقعية، وساعات للتدريب الميداني الموجّه، وساعات للتقويم وإعادة الاعتماد. وتتبع أهمية هذا التصور من أن مهارات قراءة السلوك ليست معارف جامدة تُكتسب مرة واحدة، بل قدرات إدراكية ومهارية تتأكل تدريجياً إذا لم تُدعم بالممارسة المنتظمة، والتغذية الراجعة، والتصحيح المستمر للأخطاء المهنية.
- ومن جهة أخرى؛ فإن تيرير 120 ساعة سنوياً يستند إلى اعتبارات واقعية لا شكلية؛ فعدد الساعات هذا يحقق حدًا معقولاً بين الكفاية التدريبية وعدم الإخلال بأعباء العمل الميداني، إذ يتيح توزيع التدريب إلى نحو 10 ساعات شهرياً أو وحدات فصلية مكثفة قابلة للتنفيذ داخل المؤسسات الأمنية. كما أن هذا الحجم الزمني يكفي لتكرار التعرض لسيناريوهات متنوعة، وهو شرط لازم لترسيخ القدرة على التمييز بين السلوك الطبيعي والسلوك الدال، ولتقليل الاعتماد على الحدس الشخصي غير المنضبط. كذلك فإن قلة الساعات تُنتج معرفة نظرية سطحية لا تنعكس على الأداء الفعلي، في حين أن الزيادة المفرطة قد تتحول إلى عبء تنظيمي لا يقابله عائد نوعي مماثل؛ ومن ثم فإن هذا المقترح يمثل، في نظر الباحث، حدًا تدريبيًا واقعيًا ومتوازنًا بين الكفاءة، والاستدامة، وقابلية التطبيق المؤسسي.

الخاتمة : النتائج والتوصيات

أولاً: نتائج البحث

تخلص الدراسة إلى أن فاعلية التدريب الأمني على لغة الجسد ليست مهارة تقنية مجردة، بل هي انعكاس مباشر للفلسفة الجنائية المتبعة؛ حيث كشفت المقارنة المعيارية أن المدارس التي تتبنى "المقابلة الاستقصائية" (كالنموذج البريطاني) تحقق دقة أعلى في المعلومات وتحمي حقوق الإنسان مقارنة بالمدارس "الاتهامية" (كالنموذج

الأمريكي) التي قد تؤدي لنتائج مضللة تحت الضغط النفسي الشديد، مما يستوجب اختيار النموذج التدريبي بناء على الغاية الأمنية المنشودة.

كما أثبت التحليل أن المرجعية العلمية الحديثة في التدريب قد انتقلت من البحث عن "علامات الكذب التقليدية" إلى رصد "الحمل المعرفي" والمجهود الذهني؛ فالأدلة العلمية تؤكد أن محاولة إخفاء الحقيقة تستهلك طاقة ذهنية كبرى تظهر آثارها في "فجوات سلوكية" وتناقض بين لغة اللسان ولغة الجسد. إن هذا التحول المنهجي يرفع من كفاءة رجل الأمن ويحول من "مشتبه" بناء على الظن إلى "محلل" بناء على الدليل السلوكي المثبت.

وفي السياق التقني، تبين أن دمج "الوقائع الافتراضي" و"الذكاء الاصطناعي" في المنظومة التدريبية يمثل حجر الزاوية في صقل المهارات الميدانية؛ إذ تتيح هذه الوسائط توليد سيناريوهات أمنية معقدة وشديدة التوتر في بيئة مسيطر عليها، مما يساهم في بناء "ذاكرة بصرية" حادة لدى المتدربين ويقلل من معدلات الخطأ البشري والتحيز الشخصي عند اتخاذ قرارات مصيرية في أجزاء من الثانية.

أكدت الدراسة أن لغة الجسد محكمة بـ "السياق الثقافي"؛ مما يجعل النقل الحرفي للمناهج الأمنية الغربية دون "تبئية" تتوافق مع القيم والأعراف الاجتماعية العربية أمراً غير دقيق. فالإيماءة التي قد تعني "الذنب" في ثقافة معينة قد تعني "الاحترام" أو "الحياء" في الثقافة العربية، وهو ما يفرض ضرورة بناء قواعد بيانات سلوكية محلية تحترم الخصوصية الاجتماعية وتدعم العدالة الجنائية.

ثانياً: التوصيات

بناء على النتائج السابقة، يوصي البحث بضرورة تبني "المقاربة التوليفية المقترحة" التي تزوج بين دقة الترميز السلوكي وموضوعية المقابلة الاستقصائية، مع البدء فوراً في "تعريب" الأدلة التدريبية الدولية وصياغتها في مصفوفات تفسيرية تراعي البيئة الثقافية العربية، لضمان أعلى مستويات الدقة في الاشتباه الميداني والتحقيق الجنائي.

كما يوصي البحث بضرورة الاستثمار في "البنية التحتية الرقمية" لأكاديميات الشرطة، عبر إدخال منصات المحاكاة الغامرة وتقنيات تتبع حركة العين في برامج التأهيل، وذلك لضمان تدريب الكوادر على رصد التعبيرات الدقيقة (التي تستغرق أجزاء من الثانية) في ظروف تحاكي ضغط الواقع، مع ضرورة وضع "مؤشرات أداء رئيسية" تقيس مدى انعكاس هذا التدريب على جودة التقارير الأمنية وانخفاض معدلات الخطأ في الضبط.

ويحث البحث على تأسيس "بنك معطيات سلوكي" وطني، يعنى بجمع وتحليل الأنماط الجسدية للمجرمين المحليين وتوثيق المتغيرات السلوكية الطارئة على عالم الجريمة، لتكون مرجعاً دائماً للمدربين والباحثين. كما يوصى بوضع معايير صارمة لاختيار المتدربين تركز على قياس "الذكاء الوجداني" وقوة الملاحظة، لضمان توجيه موارد التدريب نحو الكوادر الأكثر استعداداً فكرياً ونفسياً لتمثيل هذه المهارة الحساسة.

يوصي البحث بتعزيز التعاون بين المؤسسات الأمنية والجهات القضائية لتعريف القضاة وأعضاء النيابة العامة بأسس "علم السلوك الجنائي"، مما يساهم في قبول نتائج التحليل السلوكي كقرائن داعمة في ملفات القضايا، ويحقق التكامل المطلوب بين الممارسة الميدانية والتطبيق القانوني للعدالة.

يوصي الباحث بأن تتجاوز المؤسسات الأمنية منطق الدورات التأسيسية المحدودة، وأن تعتمد بدلاً من ذلك نظاماً تدريبياً مستمراً في مجال التحليل السلوكي، يقوم على المراكمة التطبيقية لا على التلقين النظري؛ لأن مهارات قراءة السلوك، ورصد التغيرات الدقيقة، وتفسير المؤشرات غير اللفظية، هي مهارات تتطلب ممارسة دورية وتغذية راجعة متواصلة، ولا يمكن افتراض ثباتها بمجرد اجتياز برنامج أولي.

كما يوصي الباحث باعتماد حد أدنى سنوي لا يقل عن 120 ساعة تدريبية لكل عنصر أو محقق يعمل في المجالات التي تستدعي التقدير السلوكي؛ على أن توزع هذه الساعات على مدار العام بصورة مرحلية تجمع بين المحاكاة، وتحليل الحالات الواقعية، والتطبيق الميداني، والتقويم الدوري. ويستند هذا المقترح إلى مبرر عملي يتمثل في أن هذا الحجم الزمني يحقق قدرًا معقولاً من التكرار والتراكم المهاري، دون أن يتحول في الوقت نفسه إلى عبء تنظيمي معطل لسير العمل الأمني.

ويوصي الباحث كذلك بأن يُبنى هذا البرنامج على تنويع الخبرات التدريبية؛ بحيث لا يقتصر على قاعة التدريب، بل يشمل محاكاة المقابلات والاستبيانات، وتحليل التسجيلات المصورة، ومراجعة الوقائع الحقيقية، والتدريب الميداني الموجه تحت إشراف مقيمين ذوي خبرة. فتنوع البيئات التدريبية من شأنه أن يرفع من قدرة المتدرب

على نقل المهارة من المجال النظري إلى الموقف الواقعي، وأن يحد من النزعة إلى التفسير الانطباعي أو الآلي للسلوك.

ومن التوصيات الأساسية أيضاً أن تقتزن الساعات التدريبية بـ **نظام تقويم وإعادة اعتماد** يقيس بصورة دورية دقة الرصد، ومعدلات الخطأ، وجودة التقدير السلوكي، ومدى التزام المتدرب بالضوابط المنهجية والأخلاقية. ذلك أن الغاية من التدريب ليست مجرد استكمال عدد من الساعات، وإنما ضمان تحوّل هذه الساعات إلى كفاية مهنية قابلة للقياس، وقادرة على تحسين جودة القرار الأمني وتقليل الانحرافات التفسيرية.

يوصي الباحث بأن تُدرج هذه السياسة التدريبية ضمن رؤية مؤسسية أوسع، تربط بين **استدامة التدريب وتحديث المناهج وبناء بنك معطيات سلوكي محلي**؛ حتى لا يبقى التدريب الأمني أسير نماذج جامدة أو مستوردة بحرّفيها، بل يصبح ممارسة تراكمية متجددة، تستجيب لتحولات البيئة الإجرامية، وتراعي الخصوصية الثقافية والقانونية للمجتمع الذي تُطبّق فيه.

المصادر والمراجع

1. بن عيسى، زهرة (2022). "دلالة استخدام التقنيات النفس-فيزيولوجية المتبعة في التنميط الجنائي". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 2.
2. الجمعية العربية لعلم النفس (2020). أخلاقيات الممارسة المهنية في علم النفس. متاح عبر مواقع الجمعيات العلمية العربية.
3. حمايدية، أسماء (2024). "دور العلامة في التحقيق الجنائي: مقارنة سيميوجنائية". مجلة الباحث في العلوم القانونية والسياسية، المجلد 11، العدد 1، ص 236-250.
4. خليل، طارق (2025). فن الاستجواب الجنائي من التحقيق إلى الاعتراف: دراسة تحليلية في التطور المنهجي. القاهرة: منشورات الأكاديمية الأمنية.
5. الصباغ، حسن (2024). التقنيات الحديثة في الاستجواب الجنائي وكشف الخداع. الإسكندرية: دار الفكر القانوني.
6. عبد الفتاح، محمد (2018). لغة الجسد في الاتصال الإنساني. القاهرة: دار المسيرة.
7. العساف، صالح بن حمد (2022). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. الطبعة السادسة، الرياض: دار الزهراء.
8. عليان، ربحي؛ غنيم، عثمان (2023). مناهج البحث العلمي: النظرية والتطبيق. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
9. قايد، محمد (2023). "الذكاء الانفعالي وعلاقته بالحس الأمني لدى رجال الشرطة". المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد 39، العدد 2.
10. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (2023). دليل التدريب المتقدم على المقابلات الاستقصائية: إطار نموذج PEACE العالمي. جنيف: وحدة التحقيقات الدولية.
11. النحوي، أحلام (2024). "لغة الجسد: توظيف لغة الجسد في المجال الجنائي والقضائي". بحث أكاديمي منشور، كلية الحقوق، جامعة بنغازي.
12. نظرية التسريب السلوكي هي تصور يفسر ظهور مؤشرات غير لفظية غير مقصودة تكشف عن الحالات الانفعالية أو النوايا الحقيقية للفرد، رغم محاولته إخفاءها أو تقديم صورة مغايرة عنها، American Psychological Association, "Leakage," APA Dictionary of Psychology, accessed April 8, 2026, <https://dictionary.apa.org/leakage>
13. التوسيم السلوكي (Behavioral Tagging) هو، باختصار، آلية في علم الأعصاب السلوكي تفسّر كيف يمكن لخبرة ضعيفة أو تعلم بسيط أن يتحول إلى ذاكرة طويلة الأمد إذا اقتزن زمنياً بخبرة جديدة أو مثيرة؛ إذ تضع الخبرة الأولى ما يشبه "وسماً" أو "علامة تعلم"، ثم تأتي الخبرة اللاحقة فتوفّر الموارد العصبية اللازمة لتثبيت تلك الذاكرة، F. Ballarini et al., "Behavioral Tagging Is a General Mechanism of Long-Term Memory Formation," Proceedings of the National Academy of Sciences 106, no. 34 (2009): 14599–14604.

14. Bandura, A. (1977). *Social Learning Theory*. Prentice-Hall.
15. Birdwhistell, R. L. (1970/2010). *Kinesics and Context: Essays on Body Motion Communication*. University of Pennsylvania Press.
16. Bond, C. F., & DePaulo, B. M. (2006). "Accuracy of deception judgments". *Personality and Social Psychology Review*, 10(3), 214–234.
17. Bull, R. (2014). *Investigative Interviewing*. New York: Springer.
18. Douglas, J. E., & Olshaker, M. (2017). *Mindhunter: Inside the FBI's Elite Serial Crime Unit*. Simon & Schuster.
19. Ekman, P. (2003). *Emotions Revealed*. New York: Times Books.
20. Ekman, P. (2009). *Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics, and Marriage*. W. W. Norton & Company.
21. Ekman, P., & Friesen, W. V. (1969). "Nonverbal leakage and clues to deception". *Psychiatry*, 32(1), 88–106.
22. Ekman, P., & Friesen, W. V. (1978). *Facial Action Coding System: A Technique for the Measurement of Facial Movement*. Consulting Psychologists Press.
23. Giessing, L., et al. (2021). "The effects of virtual reality training on police officers' performance in high-stress situations". *Police Practice and Research*, 22(1), 312–328.
24. Ginet, G. (2010). *Les techniques d'entretien en gendarmerie: Approche psychologique*. Paris: PUF / Presses Universitaires de France.
25. Hall, E. T. (1976). *Beyond Culture*. Anchor Books.
26. Hulse, L., & Memon, A. (2006). "Fatal Impact? The effects of emotional arousal and physical exertion on police officers' recall and body language detection". *Applied Cognitive Psychology*, 20(3), 313–327.
27. Inbau, F. E., Reid, J. E., Buckley, J. P., & Jayne, B. C. (2013). *Criminal Interrogation and Confessions*. Jones & Bartlett Publishers.
28. Kassir, S. M. (2014). "False Confessions: Causes, Consequences, and Implications for Reform". *Policy Insights from the Behavioral and Brain Sciences*, 1(1).
29. Knapp, M. L., & Hall, J. A. (2010). *Nonverbal Communication in Human Interaction*. Wadsworth.
30. LeDoux, J. (1998). *The Emotional Brain*. New York: Simon & Schuster.
31. Matsumoto, D., & Hwang, H. C. (2011). "Evidence for training the ability to read microexpressions". *Motivation and Emotion*, 35(2), 181–191.
32. Matsumoto, D., & Hwang, H. C. (2013). "Assessing cross-cultural competence: A review of available tests". *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 44(6), 849–873.
33. Meyer, P. (2010). *Liespotting: Proven Techniques to Detect Deception*. St. Martin's Press.
34. Milne, R., & Bull, R. (1999/2016). *Investigative Interviewing: Psychology and Practice*. (1st & 2nd Editions), Wiley / John Wiley & Sons.
35. Navarro, J. (2008/2018). *What Every Body is Saying / The Dictionary of Body Language*. HarperCollins.
36. Pease, A., & Pease, B. (2017). *The Definitive Book of Body Language*. Bantam.
37. Picard, R. W. (1997). *Affective Computing*. MIT Press.



38. Vinciarelli, A., et al. (2012). "Social Signal Processing: State-of-the-art and Future Perspectives". *IEEE Transactions on Affective Computing*, 3(1), 3–16.
39. Vrij, A. (2008/2018). *Detecting Lies and Deceit: Pitfalls and Opportunities*. (1st & 2nd Editions), John Wiley & Sons / Wiley-Blackwell.
40. Vrij, A. (2019). "Deception Detection in the Real World". *Journal of Applied Research in Memory and Cognition*, 8(2), 233–240.
41. Vrij, A., Granhag, P. A., & Porter, S. (2010). "Pitfalls and Opportunities in nonverbal lie detection". *Psychological Science in the Public Interest*, 11(3), 89–121.
42. College of Policing, "Investigative Interviewing," accessed April 8, 2026, <https://www.college.police.uk/app/investigation/investigative-interviewing/investigative-interviewing>.
43. Paul Ekman and Wallace V. Friesen, "Nonverbal Leakage and Clues to Deception," *Psychiatry* 32, no. 1 (1969): 88–106.
44. Federal Bureau of Investigation, "Behavioral Analysis," FBI, accessed April 8, 2026, <https://www.fbi.gov/how-we-investigate/behavioral-analysis>.